مع الله

شعري

أيهـــا القـــارئون، رفقـــاً بشـــعري ... إنّ شـــعري مشـــاعر منظومـــهْ
إنـــه ســـبْحة إلـــى الله عبْـــرَ النـــور، ... فـــي جـــوٍّ قدسِـــهِ معصـــومهْ
إنـــه أنـــسّة مـــن الصـــدر حـــرّى ... وأســـىً مـــن حُشاشـــةٍ* مكلومـــهْ
إنـــه فطـــرة إلـــى المجـــد ترْنـــو ... وإلـــى العلـــم والحِجـــا، مَنْهومـــهْ*
إنـــه وثبـــة إلـــى كـــل خيـــر ... إنـــه عـــزة بطيـــب الأرومـــهْ*
إنـــه ثـــورة علـــى كـــل بغـــي ... وانتصـــار لأمـــة مظلومـــهْ
إنـــسّه رجعـــة الصَّـــدى لنـــَشيجٍ* ... ردَّدتـــْهُ عدالـــة مهضـــومهْ
إنـــه آيـــة المـــروءة أذكتهـــا ... بنفســـي أبُـــوَّة وأمومـــهْ
إنـــسّه رأفـــة بكـــل مُعَنـّـــىً ... إنّـــه غايـــة الوفـــاء المرومـــهْ
إنـــه ومضـــة مـــن الـــذكريات الغـــرِّ ... تَجْـــلو عـــن الفـــؤاد همومـــهْ
إنـــه وقـــدة الغريـــزة فـــي جســـمي، ... وفـــيضٌ مـــن نَـــزْوةٍ مكتومـــهْ
إنـــه نشـــوة بـــآيِ جمـــالٍ ... فـــي الســـماوات والـــدُنى* مرموقـــهْ
ولـــُحُونٌ مرمـــوزة مـــن وجيـــبِ القلـــبِ ... أنشـــدْتـُـــها لـُغـــىً مفهومـــهْ
لا أراعـــي بهـــا هياكـــلَ لفـــظٍ ... أو أصـــولاً مفروضـــة مرســـومهْ

أيهـــا القـــارئون، شـــعري: مرايـــا ... لســـجايا، صـــغيرة وعظيمـــهْ
هـــو رفـــقٌ وشـــدّةٌ، وصـــلاةٌ ... وذنـــوبٌ، وخشـــية وعزيمـــهْ
هـــو حلمـــي ويقظتـــي، هـــو لحـــنٌ ... صـــادقٌ، مـــن رُؤى المُنـــى الموهومـــهْ
هو روحي، أو بعض إشراق روحي ... هـــو نفســـي مجهولـــةً معلومـــهْ
هـــو إطلالـــة مـــن الغيـــبِ حيْـــرى ... وبـــروق الـــدجى تشـــق غيومـــهْ
هـــو سِـــرّ الحيـــاة لاحَ لِحَـــدْسي* ... وضـــميري، فصُـــغْتـــُه تَـــرْنيمهْ
فتغَـــنَّوا بـــه كمـــا جـــاء، شـــعراً ... لـــم أنمِّـــقْ ولـــم أزَوِّقْ رُســـومهْ
مـــن يشـــأ نقْـــدَهُ، فـــلا ضَـــيْرَ، لكـــنْ ... هـــو قلبـــي، فمَـــنْ يـــرى تحطيمـــه!

دمشق : ٧ ربيع الآخر ١٣٦٤هـ

صلاة...

كلمـــا أمعـــن الـــدجى وتحالـــكْ* شِـمْتُ فـي غـوره الرهيـب جَلالـكْ
وتـــراءتْ لعـــين قلبـــي برايـــا مـــن جمـــال، آنسْـــتُ فيهـــا جمالـــكْ
وترامـــى لمســـمع الـــروح همـــس مـن شـفاه النجـوم يتلـو الثـَّـنا لـكْ
ولهترانـــــي تولـّـــــهٌ وخشـــــوع واحتـــواني الشـــعور أنـــي حِيالـــكْ
مـــا تمالكـــت أن يخـــر كِيـــاني ســـاجدًا واجِـــدًا ومـــن يتمالـــك!

بلودان: ١٣٦٨

شهود

خلـِّـــني أسـرح فـي البـون المديـد خلنـي أطلـق روحـي مـن حـدودي
خلـِّـــني أسـري بـأطواء* الليـالي خلنـــي أشـتفّ ُ أضـــواء الوجـــودِ
خلـِّـــني أفنـــي هنـــائي وشـــقائي خلنـــي أفضـــي إلـــى كـــون جديـــدِ
خلنـــي أجتـــاز آفـــاق البرايـــا خلنـــي أجتـــاح أبـــواب الخلـــودِ
أشـرقَ الـديَّان فـي غـوْر كيـاني خـاني هَيْمَـانَ فـي غيـبِ شـُهُودي

بيروت : ١٣٦٨

شعاع

تأمّلـتُ فـي كنـه هـذا الوجـودْ وغصـتُ عـل كشـف أسـرارهِ
فجبـتُ الوِهـاد وطُفـت النجـودْ وجُلـت بـأجواء أنـوارهِ
وفكّـرتُ فـي نحسِـه والسـعودْ وفـي خيِّريـه وأشـرارهِ
وإذ كـاد يعـرو شـعوري الجمـودْ ويثنيـه عـن سَـبْرِ أغـوارهِ
تـلألأ لـي مـن خفايـا الخلـودْ شـعاع؛ فصِـحتُ بإكبـارهِ

كراتشي : ٦ رمضان ١٣٦٩

الجزاء الأوفى

غمرتنـــي نعمـــاؤه وتبـــدّتْ لضـميري فـي قلـب أنسـي وبؤسـي
وتجلـــتْ آلاؤه فـــي حيـــاتي واطمأنـّت في كُـنْه عقلي وحسي
أتلقـــى ســـرَّاءَه فـــي صـــباحي وأوقـَّـــى ضـــرَّءه حـــين أمســـي
وأرانـي أسـمو بسعيِـي وَوعيِـي عـن جـزاءٍ،من معـدن الأرض،
حسـبُ نفسـي مـن الجـزاء شـعوري بخـــــــــــــــــسِ
أننـــي فـــي الإلـــه أبـــذل نفســـي

كراتشي : ٧ رمضان ١٣٦٩

حب

فـي تنـاجي القلـوب بالحـب رَوْحٌ* فيـه للـروح والحشـا خيـرُ قـوتِ
فيـــه صـــفوٌ ونشـــوةٌ وهنـــاء وانطـلاقٌ مـن الأسـى المكبـوتِ
حين تصغي بعض القلوب لبعضٍ فـي الحديث النقيِّ أو فـي السكوتِ
يُشـــرقُ الله بالصـــفاء عليهـــا وينـادي أعماقهـا: هـل رضـيتِ
فـي تنـاجي القلـوب بالحـب سرٌّ يتســامى بهــا إلــى الملكــوت

كراتشي : ٨ رمضان ١٣٦٩

قـبـــس

كيـــف لا أومـــن بـــالله، وهـــل لـــذوي الألبـــاب فيـــه مُلْتَـــبَسْ
كيـــف لا أبصـــرهُ فـــي خَـلْقِـــهِ فـــي الضـــحى،في الفجر،فـــي جـــنح
كيـــف لا أحيـــا بـــه، والـــروحُ مـــن الغَـلَـــــــــــــــــــــــــسْ
كيـــف لا تسْـــعَدُ نفســـي بســـنا أمـــره، فـــي غـــور ذراتـــي انـــبَجَسْ*
وأنـــا، فـــي ســـرِّ كُـــنهي، مـــن أنـــا؟؟ نـــوره فـــي كـــل ترديـــد نَـفَـــسْ
أنـــا مـــن إبداعـــهِ الســـامي قـــبسْ!

كراتشي : ١٠ رمضان ١٣٦٩

هُيـــام

ترقـــد الـــدنيا ويحْويهـــا الظـــلام فينـــام الحـــسّ ُ فـــي النـــاس النيـــامْ
وعيـــون الحســـن تبقـــى أبـــداً فـــي خلايـــا الكـــون يقظـــى لا تنـــامْ
لا تراهـــا غيـــرُ نفـــسٍ أرِقـــتْ مـــن لظـــى الوجـــدِ وتبـــريحِ الغـــرامْ
سَـــرَحَتْ تلـــتمسُ الطـــبَّ، وفـــي بهجـــةِ الحســـنِ شـــفاءٌ وســـلامْ
إنَّ ما في الكون من حسنٍ، صدى لجمـــال الله؛ يـــا طيـــب الهُيـــامْ!

كراتشي : ١٥ رمضان ١٣٦٩

إليَّ... إليَّ

تضِـجّ ُ برأســي طـُـيُوفُ العُـــلى ويتقـــد النـــور فـــي نـــاظريّ
وتَـــهتاجُ حِســـي طيـــوبُ البهـــا وتـُـغري الخِلابـاتُ جسـمي علـيّ
فألبَـــثُ حَيـــرانَ حَيـــرَانَ مِـــن تَـهاتـُـــر هـــذا وذيَّـــاكَ فـــيّ
ويظهـــرُ بُؤســـي، ويُهـــدَرُ أنســـي وتـُـصْهَرُ نفســـيَ، مِـــن حيرتـــيّ
فيـــا رحمـــةً وَسِـــعْتْ كـــلّ شـــيّ إلـــيَّ.. إلـــيَّ.. إلـــيَّ.. إلـــيَّ

كراتشي : ٢٠ رمضان ١٣٦٩

ضراعة ثائر...

« كان في كراتشي... واستيقظ بعد منتصف ليلة عرفة، هائج النفس، ثائر الشباب، وكان قد تعرَّض في تلك الأمسية إلى إغراءٍ كثير.

ذكر إقامته على التقوى في باريس، وهو طالب.

وذكر مواقفه في الحج، في مثل هذه الليلة، منذ عام مضى.

وذكر ما تعرّض له قبل ساعات...

وفي غمرة الحيرة، وسُوار* النفس، وأوار الظمأ، أنشأ القصيدة التالية.

ولما كاد ينبلج الصباح، هدأتْ نفسه بعض الشيء، وعاد يراود الكرى » :

كيف أنجو يا خالقي من شبابٍ ... عارمٍ عاصف التوثب ضاري
مستبدٍ بكلِّ ذرَّاتِ جسمي ... متفزٍ كوامن الأوطار
كُلَّما رُمْتُ كبتَه، ثارَ جهْلاً ... وتخطى عقلي وأعيا وقاري
فأنا منه، ما كبحتُ هواهُ ... في جموح وحدة واستعار
كيف أنْجو، وإنَّه مستقرٌ ... في كياني، وفي صميم نجاري*
هو من طينَتي التي لَوَّثَتْني ... ورمتني فريسةَ الأقدار
إنه رجعة الصدى لفحيحٍ* ... لاهب الذات غاشمٍ كفّار
قد تحدى أبي الكبيرَ قديماً ... فرماه من عالم الأبرار

آه يا ويح مُقلتي، وفؤادي ... وإبائي، وعزتي، واصطباري
والليالي الطوالَ مرّت سُهاداً ... وعناداً، ودمعي المدرار
وجهادي في حلكة الليل نفسي ... وزيادي، وعزميَ المغوار
وغِلابي ضروبَ كيد صحابي ... واعتزازي بدحرهم وانتصاري
وثباتي، وقد ترامى لِداتي* ... واعتدادي بعفتي، وفخاري

آه، يا ويْحَ وقفتي في ديارٍ ... قدّس الله تربها من ديار
خُضْتُ هوْلَ السماء سعياً إليها ... وطويت البحار إثر البحار
وعلوتُ الغيوم في صخب الأنواء، ... أشري مرَّ العنا بالنضار* ..
فكأنني وقد حللتُ رُباها ... جوهر خالص من الأوضار
نَقِيتْ من طبيعة التُرب نفسي ... حين حلّت في روضة المختار
غمرتني أنوارُهُ فكأنّي ... عنصر من عناصر الأنوار
وكأنّي – والبيت يشرق حولي ... شامخ المجد في سنى الأسحار–
ذاب جِرمي في ماء زمزم حتى ... خلتني طِرْتُ من خلال إزاري
جاوز الروح بي معالمَ أرضي ... فالسماوات والعوالم داري
والمفاهيمُ، في مسارحِ روحي، ... والمساحاتُ، غير ذاتِ قرار
فقيامي في الحِجْر*، لاحَ سجُوداً ... وسجودي، سَبْحٌ مع الأقمار
وانطلاقي أسعى، هدوءٌ مريحٌ ... ووقوفي، سياحة في البراري
وضجيج الحجيج حولي، سكونٌ ... وبسَمعيَّ جأرةُ* الأحجار

آه، يـا ويـح همّتـي وجِـلادي ... إن نبـا بـي عـن الفـلاح اقتـداري
أبيـومٍ فـي مِثْـلهِ طـاحَ وزري ... أتـــردَّى مجـــدِّدا أوزاري
كيـف أنجـو يـا خـالقي مـن شـبابي ... وشـبابي قـد كـاد يُـدني دمـاري
أنـت سـويتني وألهمـتَ نفسـي ... خطيتهـا مـن التقـى والفِجَـار*
وأنـا منهمـا بحـرب لظاهـا ... فـي ضـلوعي يشـوي وفـي أفكـاري
لـم أرُمْ قـطّ أنْ أدَسّـيَ نفسـي ... كيف أرضى للنَّـفسِ ذلَّ الصَّغار!
ولـو أنـي كُـفيتُ إغـواءَ عَصْـري ... وأحابيـل خلقـه الأشـرار
وحُبيـتُ اختيـار وجْهَـةِ أمـري ... لتسـاميتُ واسـتقرَّ قـراري
ولكانـت نفسـي الشـرودُ تزكَّـتْ ... غيـر أنـي كـالعود فـي تيّـار

كيـف أنجـو يـا خـالقي كيـف أنجـو ... والمقـادير ألزمتْـني إسـاري*
فتخيَّـرْ لِمـن خلقْـتَ سـبيلا ... ترتضـيها، فـإنَّ ذاكَ اختيـاري
أننـي نـازع إليـك بنـورٍ ... منـكَ، للنـور فـي العـوالم بـاري
وأنـا مقسـمٌ عليـك بأسـمائكَ، ... .. مـن راحـم، ومـن جبّـار
لا تـُفرِّطْ بمـن دَعتْـكَ خلايـاهُ ... .. دراكـاً فـي ليلـه والنهـار

رُبَّ سارٍ والسُحْبُ قد لفَّتِ النجمَ، ... .. فحـارَ السّـارون عبـرَ القفـار
سَـفَرَ الفجـرُ، فاسـتبان خُـطاه، ... فرآهـا اهتـدت بـلا إبصـار

كراتشي : في ٨ ذي الحجة ١٣٧٥هـ

جـــذبة

يـا معـاني الله فـي نفسـي وروحـي وضـميري ... حلِّـقي بـي وارتقـي فـوق سـماوات الأثيـرِ
أشـرقي وهاجـة فـي غـوْر قلبـي ووجـودي ... والبثـي وضـَّاءة فـي ليـل عمـري وأنيـري
وتجلـَّيْ* لجبـال الهـمِّ تجثـو فـوق صـدري ... فلقـد أرهـق صـدريَ حمـل هـم مسـتطيرِ
فـإذا مـا جُعِلَـتْ دكـا أعينينـي بعـزمٍ ... أنـا لا أرغبُ أن أصـعق فـي سـاحِ القديرِ
غايـة القصـد – ومـن أقصـده رب كبيـر – ... جذبـة تـُنعِمُني بـالقرب مـن ربٍّ كبيـرِ

كراتشي : ١ رمضان ١٣٧١هـ

تسليم

أيهـــا الإنســـان لـــن.. ... تطـــوي بـــالطفرة بونـــا
أنـــتَ تســـتعجل، والأقـــدار ... .. تمشـــي بـــك هونـــا
فـــدعِ الأمـــر إلـــى ربـــك ... .. واطلـــب منـــه عونـــا
لا تضـــقْ بالريـــثِ* ذرعًـــا؛ ... .. قـــد يكـــون الريـــثُ صـــونا
خَـــلِّ تـــدبير قضـــاياك، ... .. لمـــن دبَّـــرَ كونـــا

كراتشي: ٦ رمضان ١٣٧١

كفاح

حقـوق العلـى فـي جنـاني غِضـابْ تــذود رقــادي بــوخز الحــراب
تنبِّــهُ مــا لــم يــنم قــط مــن ضـميري وتقذف بـي فـي الصـعاب
ولســتُ أجانــب خــوض العقــاب، .. وإن هدّ جسمي خوض العقاب*
ولكــنْ أرانــيَ مثــل الشــراع .. الفريــد العنيــد بقلــب العبــاب
أكــافح وحــدي كالمســتميتِ، .. وأتــرك لله فصــل الخطــاب

كراتشي: ١٧ رمضان ١٣٧١

سبحان ربي الأعلى

أيُ سـر يـودي بـدنيا حـدودي — كلمـا هِمـتُ فـي تجلـي سـجودي
كيف تـذرو «سبحان ربـي» قيـودي — كيـف تجتـاز بـي وراء السـدودِ
كيـف تسـمو بفطرتـي ووجـودي — عـن مفـاهيم كـوني المعهـود
كيـف ترقـى بطينتـي وجمـودي — فـي سـماوات عـالم مـن خلـودِ
أتُـراها روحـاً مـن المعبـود — قـد جَلَـتْ ذاتهـا لعـين شـهودي!

كراتشي: ٢١ رمضان ١٣٧١

المتقى... والمبتغى

البـاذلون لـيَ الوعـود سـخيةً — لأكـفَّ عـنهم مـا شـننتُ مـن الـوغى
عجبـوا لإعراضـي وأوغـر كيـدهم — فطغـوا وعزمـي يستخف بمـن طغـى
فليرتـع الأكـوابَ رأس ضـلالهم — مـن سـمه، فيغيـره لـن تفرغـا
إنـي لأحقـر وعـدهم ووعيـدهم — فلقـد بلغـتُ مـن المناعـة مبلغـا
يغري الذي يغري، ويبغي من بغى — والله عنـدي المُتَّـقى والمبتغـى

بغداد: ٦ رمضان ١٣٧٢

الكعبة

الكعبـة الشـماء، فـي مـذهبي، — قيمتهـا ليسـت بأحجارهـا
والقـربُ مـن خالقهـا لـيس فـي — تشـبثِ المـرء بأسـتارها
قدسـية الكعبـة فـي جمعهـا — أمتَـنا مـن كـل أقطارهـا
وأنهـا محـور أمجادهـا — وأنهـا مصـدر أنوارهـا
وكعبـة المـؤمن فـي قلبـه — يطـوف أنـا كـان فـي دارهـا

مكة المكرمة: ٦ رمضان ١٣٧٣

صلة

الحجـر الأسـود قبَّلْتُـه — بشـفتي قلبـي وكلـي ولـهْ
لا لاعتقـادي أنـه نـافع — بـل لهُيـامي الـذي قبَّـلهْ
محمـدٌ أطهـر أنفاسـه — كانـت علـى صـفحته مرسـلهْ
قبلـه، والنـور مـن ثغـره — يُشـرق آيـاتِ هـدىً مُنزَلَـهْ
قبَّـلتُ مـا قبلـه ثغـره النـاطق — .. بـالوحي؛ ابتغـاء الصـلهْ

مكة المكرمة: ٧ رمضان ١٣٧٣

استغاثة

لقد ضاق صدري، وصدري رحيب ... بِغَيِّ القريب وبَغْيِ الغريبْ
وثار بقلبي أوام* الظما ... للقيا حبيب، وأين الحبيبْ
تمر ليالي شبابي حيارى ... يُنَغِّصهنَّ الخواء* الكئيبْ
تضج بعقلي تباريحه ... ويفني حياتي العناء الجديب
وفي الروح من وثبات الطموح ... .. أوار وفي عزماتي لهيبْ
أضرتْ بقلبي ضروب الأسى ... فغام شبابي ولاح المشيبْ
أهيبُ بقومي إلى المكرماتِ ... وهيهات يسمعني من أهيبْ
تبلد في الناس حس الكفاح ... ومالوا لِكسبٍ وعيش رتيبْ
يكاد يزعزع من همتي ... سدور الأمين، وعزم المريب
نهاري عناء، وليلي ضنى ... وقلبي وجيبٌ، ودمعي سكيبْ
فيا رب أنقذ فتى عانيًا ... تضرع في جوف ليل رهيب
دعاك إلى كشف ما مسه ... من الضر في شهقات النحيبْ
وناداك من غور آلامه، ... آمالَه، وحشاه الحَريبْ
إلهي أغثني، فقد غُمَّ دربي ... وأبعد قصدي وأنتَ القريب
فونت الرحيم وأنت العظيمُ، ... .. وأنت السميع، وأنت المجيب

جدة: شوال ١٣٧٣

في الروضة الغراء

اتئد يا إمام؛ لا ترفع الرأس، ... .. سراعا من السجود لربي
أنا لما تنسم الروح، عبر الأفق، ... .. عرفًا عن أشرف الخلق ينبي
وتطلعتُ خاشعًا مستهامًا، ... .. بجنان مُوَلَّهٍ مشرئبِّ
فتراءت لعين قلبي أنوار ... .. نبيِّ الهدى الرسول المربي
هام قلبي بين السماوات والأفلاك، ... .. يسعى إليه من كل دربِ
ثم لما سجدتُ في الروضة الغراء، ... .. أرمي عن كاهلي عبء ذنبي
خلتُ قلبي ألقى النياط* جذورًا، ... في جِنان الهوى لغرسة حبِّي
فاتئد يا إمام، لا ترفع الرأس ... .. سراعًا؛ تكاد تجتث قلبي

المدينة المنورة – الروضة: ٢٧ من ذي القعدة ١٣٧٣

قلب كبير

إلهي كمذا اهتدت من عقول ... بفطرتها، دون بحثٍ حفي
وكم من عقول غذتها العلوم ... نأت عن هداها، لسرٍّ خفي
وأما أنا فرهين الحدود ... وخلفَ حدودي مستهدَفي
تحيرتُ بين دروب الحياة، ... ولم أدر أيا خُطًا أقتفي
وما أنا بالمستسيغ القعودَ، ... ولا أنا بالشارد المسرف
وبي ظمأ حائر، ثائرٌ ... أروح وأغدو ولا أشتفي
إذا عز في كونيَ المسعفون، ... فإنك يا خالقي مسعفي
فأشرق بومضة نور على ... فؤادي فإني بها مكتفِ
عساها تكون سكينة عقلي ... وسِرَّ الهداية في مصحفي
تُروي غليلي، وتهدي سبيلي ... وتغدو لنفسي الأنيسَ الصفي
فتُشفى جروحي، وتُسعَدُ روحي ... ويتضح الحق في موقفي

إلهي ألستَ تراني جديرًا ... وقلبي بغيرك لم يهتف
وإنك تعلمُ من سر كهني ... وغيبيَ، ما أنا لم أعرف
إلهي فاقبل لجوئي إليك، ... وخذ بيدي في حياتي وفي..
إذا كنت جرمًا صغيرًا ... فقلبي كبير كبير وفي

دمشق: ٨ رمضان ١٣٧٦

في قرنايل

أيام بعث ديوان : «مع الله»، والنفس تحلق في سمائه وتعيش في أجوائه، أنشأت القصيدة التالية «في قرنايل» فرأيت إلحاقها بهذا الديوان، لأنها روح منه.

إنها تصوير لإطلالة الفجر، وإشراقة النهار، وتخيلٌ لصراع بين الشمس والوادي، على ابتزاز الروعة والجمال، ساعة الغروب؛ والدهر يشهد هذا الحدث الرتيب.

ثم انتقال إلى آفاق من النجوى والشكوى، والألم والأمل، والعزيمة الحائرة في النفس الثائرة:

بادِرِ الفجرَ، واشتمِلْ بإزارهْ ... وتمتّعْ بالحُسْنِ في أغْوَارِهْ
ودعِ الهيكلَ الترابيّ حيناً ... واسرِ بالروح في مدى مضمارِهْ
واتجه في كيانك الطلق واسرح ... فش هَوَاه، وفي رؤى أفكارِهْ
سترى غرةَ ليوم جديد ... كان في الغيب وانْبَرى من سِتارِهْ
والضياء الحيران يضفي عليه ... حُلّةً من لُجيْنِهِ وَنُضارِهْ
سترى فيه سِرَّ ربٍ براه ... وبأنْوَارِهِ صَدَى أنْوَارِهْ
أرْهِفِ الحس واستمِعْ لِنجاوى ... .. الفجْرِ ما بين ديكِهِ وهزارِهْ
وتأمل فيض الجمال على الوادي ... .. نضيراً، يَشِع في أسحارِهْ
قد تمطى، ومد رجليه، عبر الأفق، ... .. في البحرِ مُبْرِداً من أُوَارِهْ
والرّوابي توكّأت عن يمينٍ ... وشِمالٍ، واسْترْسَلَتْ في جِوَارِهْ
وعليها من الصنوبر تاج ... ركع الزهر خاشعاً من وقارِهْ
في مثاني سفوحها دُورُ أنْسٍ ... أقسم الصيف أن تذود المكارِهْ
تتراءى بيضاء كالدر، زان الرأس ... .. منها الياقوت، عند اعتمارِهْ
ما أحَيْلى الحياة فيها فراراً ... ولِواذاً من عيْشِنا وسُعارِهْ
وانطلاقاً مُسَيّباً في رحاب ... من دروب الوادي ومن أوكارِه
يا لطيب النسيم هفّ عليلا ... يستثيرُ الحَفيفَ من أشْجارِهْ
ثم يسري في رقة ودلال ... مشبعاً بالأريج من أزهارِهْ

يا لحسنٍ وروعةٍ في دبيب العزم ... .. لم يبْقَ ذا حياة بِدَارِهْ
ماج منه الوادي بروح مطلٍ ... من كُوى الفجْر، خافقٍ في إطارِهْ
لابسٍ بهجة الصباح، وَوَهْجَ الماس ... والدّر، في اتّضاح نهارِهْ
فاتقاد النشاط في ساكنيهِ ... كاتّقاد الحياة في أطيارِهْ
ورفيف الفراش والنحل يحكي ... دأب النمل جدّ في تسيارِهْ

ويمر النهار في نصب السّعيِ ... .. ويبدو المساء خلف ستارِهْ
في احمرارٍ، كَخَدٍّ بيضاء رودٍ* ... حَجَبَتْ بالشّفُوفِ من جُلّنارِهْ

وكأني بالشمس غارت من الوادي .. وقد لاح زاهياً في خِمَارِهْ
ثمّ ألقى عباءة الليل عنهُ فتبدّى الجمال بعد استِتَارِهْ
ثم أضحى تهتز في جانبيه خَطَرَاتُ الحَيَاةِ، رغمَ وَقَارِهْ
ثم أمسى كشاعر شفّهُ الوَجْد، .. وفاض الحنين من قِيثَارِهْ
فتعرّتْ مختالة وتولّت تُطفئ الغيظ في مياه بحارِهْ
وخيوط النّضار من شعرها الوهّاج .. تُذكي في الأفْقِ شُعلةَ نارِهْ
تتحدى بحسنها كل حسن وغبي يشتط في إنكارِهْ
فيثور الوادي ويزعم أنّ الحُسْنَ .. ألقى إليه حقّ انحصارِهْ
وإذا الشمس نفثةٌ من لهيب – وشِجار الرفاق جَم المكارهْ –
هي نادت لِرِفْدِها وَضَحَ النور .. فجاء النّهار في أوْزارِهْ
وهو نادى الدجى فهبّ إليه مُسْتطارا للحرب في أطْمارِهْ
والثرى والسماء في حيرة الأمر .. تخافان من ذيول شِجارِهْ
نادتا كامن الغيوم من الأرجاء .. سِتْراً لخزيهِ وفِجارِهْ
فإذا في السماء والأرض غيم يغبِش الجوّ ُ في ظِلال مَسَارِهْ
تتراءى خلاله وَقدَةُ الغيظ .. ويُرمى سحابُه بشرارِهْ
ومرايا الآفاق تعكس ألوان .. صراعٍ، ما بين دامٍ وفارِهْ
شاقت الدهر فاعتلى الشاهِقَ الجبّار .. – والهمّ ُ نال من إبصارِهْ –
ومضى يرقب الصراع بعينيْه .. مُلِحَّاً، حيناً، ومن مِنْظارِهْ
وغُيُوبُ العصور، من عهد إبليس .. إلى الحشر، لُحْنَ في أنظارِهْ
قد رأينا، وقد رأى، وقد رأى الناس، .. وكل يرى على مِقْدارِهْ

وطَوَتْ فوْرَةُ الصراع ذُكاء، وتغنّى الوادي بِزَهْو انتصارِهْ
وارتمى متعباً يعُبّ ويُلْقِي نَفَثَاتِ الدخانِ من « سِيكارِهْ »
وتبدى الغمام أشعث يسري باتّئادٍ إلى دروب مطارِهْ
وعلى وجهه الكئيب ظلال من صراع النهار قبل فرارِهْ
ألبياض المُغبر في زُرقة الأفْق .. ترامى وغاب بين اصفرارِهْ
وسرى من فم الشّعابِ دخان قاتِمٌ في ائتِلاقِهِ واحْمِرارِهْ

بيْدَ أنّ الوادي، وقد قُضِيَ الأمر، .. ولوْثُ الدِّماء في أظفارِهْ
ملأ الحزن جَوّهُ فتهاوى في سريرٍ، يُقِضّ ُ*، مِن أحْجارِهْ
حَشوهُ الشّوْكُ والحصى. وبدا الليل .. رهيباً، يغوص في أسرارِهْ
وكأنّ الهَوَامَّ تَفتِكُ فيه مُزع* قد قُطِعْن من فُجَّارِهْ
قلّب الفكر، والعواطف شتى في حَشاهُ، والغمّ ُ في أغوارِهْ:
إنه منذ كان، يعشق تلك الشمس، .. في وهْجِها مُنى أوْطارِهْ
في شُعاعاتها اللّطاف نماء لأزَاهِيرِهِ، ونضج ثمارِهْ
لوّنتْها بالحُسْنِ لوْناً فلَوْناً وحَبَتْ غابَه بديع اخضرارِهْ
كيف يحيا من غير شمس، ويرضى بانتِصار يُكِنّ ُ ذلَّ انكسارِهْ

إن عُدوانَــه علــى الخِــدْنِ عــارٌ؛ كيف يحْيا، وكيف يرضى بِـعَارِهْ
وانتصـار الفتى على الصّحْب بَـدْءٌ لِتــرُدِّيهِ فـــي الأذى وانـــدِثارِهْ
إنّ مــن يطعــنِ الصــديق ليقضــي مَأرَبــاً، لا ينــال غيــر اندِحــارِهْ
غَــدْرَةُ المــرء بالأحبّــة خــزيٌ يتســامى عليــه خِــزيُ انتحــارِهْ

وأقام الوادي على السّهْدِ طول الليل، .. نــدمان تائبــاً مــن شَــنَارِهْ
فأتــاه البشــير أنّ ذُكــاءً صفــحَتْ عــن ذنوبــهِ لادِّكــارِهْ
ستــحيّي رُبَــاهُ فــي نَـفَـسِ الفجْـر .. وتمضــي إليــهِ عنــد افْــتِرارِهْ

وأطَـلّ الفجْر الجديد على الوادي، يُسَقــّي الــدنيا شــهِيَّ عُقَــارِهْ*
وتتالــت مشــاهد الأمــس واليــوم .. ودارَتْ مــع القــضا فــي مَـدَارِهْ
تلكــم قصــة الحيــاة رواهــا الكــون منــذ الآبــادِ، فــي أخبــارِهْ
ردّدتْ لحنهــا الرِّيــاحُ وأجْــرَى الــدّهرُ أصــداءها علــى قيثــارِهْ

إيــهِ « قرْنَايــلُ » عليــكِ ســلامٌ ◌ِمــن فــؤادٍ يــذوبُ مــن تِـذكارِهْ
ومُحِــبٍ منــذ الطفولــة يشــدو فــي رُبــاكَ الكثيــرَ مِــن أشْــعارِهْ
لــم يــزلْ يسْتــَمِد بِكْــرَ المعــاني مــن جمــال حُبِـيــتَ مــن أبْكــارِهْ
وفتــىً كلمــا ألحّــتْ عليــه شــدّة الــدّهر فــرّ مِــن إعصــارِهْ
لا فِــرار الجبــان خوفــا، ولكــن يتقــوّى علــى وغــى أخطــارِهْ
رام فــي فيْئــكِ السَّــكينةَ حينــاً هــل يَفِــرّ ُ الإنســان مــن أقــدارِهْ
يتســلى بطيــفِ أنْــسٍ شَــرُودٍ يُمْــتِعُ النّـفْسَ مِـن شَـمِيم عَـرَارِهْ*
وحبيــب مــا زال فــي الغيــبِ يَثْــوي وَوَراء الآفــاق بُعــدُ مَــزَارِهْ

إيــهِ « قرْنَايــلُ » عليــكِ ســلامِ مــن غريــبٍ مــرَزَّأٍ فــي دِيــارِهْ
ســامَرَ الــنّجم فــي الليــالي وحيــداً يَتَلَظــّى مــن همّــهِ ودُوارِهْ
كــلّــمــا لاحَ فــي ســمائِكِ بــدْرٌ أجَّ فيــهِ الهــوى إلــى أقمــارِهْ
وتغنّــى فــي لوعــةٍ وحنــينٍ بِلُــحون الماضــينَ مِــن سُــمَّارِهْ
باعَــدَتْ بينَــه وبــين ذويــهِ قَـسَـمٌ مِــن طباعِهــمْ ونِجــارِهْ*
كم قضى بينهم وكم سوف يقضي مِــن ليــالِ كئيبــةٍ، غيــرَ كــارِهْ
يتــوانى عــن بــرِّهِ أقْــرب الخلــقِ .. إليــهِ، ولــمْ يَجِــدْ عــن شــعارِهْ
يَبــذل الــنفس والنفــيس وفــاءً ويُضــحّي شــبابَهُ فــي اصْـطِبارِهْ
تتولــّى أيامــه فــي أوَامٍ* وسِــواه يعُــبّ ُ مــن إيثــارِهْ

لــيْتَ هــذا الزمَــانَ سَــارَ سَــويّاً وتَخلــّى عــن جَــوْرِهِ وقِمــارِهْ
وأقــام القســطاس فــي النــاس عــدْلا فــأذاق المُغْـتــَرَّ ويــلَ اغْــتِرارِهْ
وحبــا راعــي المــروءاتِ فــي الجُلــّى حُســاماً يَصُــولُ فــي بَـتّــارِهْ
والنفــوس المغــرّدات هُــيَاماً مَــدَّها باللــّحُون مِــن أوتــارِهْ

وأتـــاح المجـــال للطـــامح المقـــدام ... يَـبْـنـــــي أمْجـــادَهُ بِبِـــــدارِهْ
غيـــر أنّ الزمـــان ســـار بِـنَـــهجٍ ... عَـــزّ إدراكُـــنا لِغـــوْر قـــرارِهْ
ضَـــفَرَ الغـــارَ للجبـــان، وأقصـــى ... عنْ جبينِ الشّـُجاعِ إكْـليلَ غَارِهْ
أعْثَـرَ الشّـهمَ وهـو يمضـي لخيْـرٍ ... وأقـــالَ* المَـأفـُونَ سُـــوءَ عِثـــارِهْ
حـاد بالمُخلِصِـين عـن جَـدَدٍ* المجْـدِ ... مُعِينـــاً عليـــهِ بَعـــضَ شِـــرارِهْ
حَـرَمَ البلـدة الطّـليعة فـي الـوَعْيِ ... .. وأعطـى الصـحراء ثـروة قـارِهْ
فتنـــة تلـــك فـــي الـــورى واختبـــار ... أيـنَ يمْضـي زمانُـنا فـي اختِبـارِهْ!

إيـهِ « قرْنَايـلٌ » هنيئـاً لمـن أضـحى ... .. نـسِيَّـــا، أو عـــاشَ فـــي أذكـــارِهْ
مُعرضـــاً عـــن زمانِـــهِ وهَـــوَاهُ ... يَتَلقـــــّى ازْوِرَارَهُ بـــــازْوِرَارِهْ
بَيْـدَ أنّـــي، والقلـــبُ حـــرٌ أبـــيٌّ، ... لا يُبـــالي بِـــزَجْرِهِ وانتِهـــارِهْ
سـوف أمضـي مـا دام فـيَّ ذمَـاءٌ* ... فـــي متاهاتِـــهِ ولُـــجٍّ غِمَـــارِهْ
وســـأبقى أجاهِـــدُ الشـــرّ عُمْـــري ... ولـــو أنّـــي كـــالعُودِ فـــي تَـيَّـــارِهْ
قـد يمـوت الإنسـان فـي إصـراره ... ويَعِـــيشُ الإنســـانُ فـــي آثـــارِهْ

رُبَّ حُـــرٍ مُكبّـــل اليَـــدِ عَـــانٍ ... بَـتَّ فـي عزمِـهِ مَريـرَ* إسَـارِهْ*
هشَـــمَ الكـــفَّ فـــي عِنـــادٍ مُلِـــحٍّ ... ورَمَـــى القيْـدَ عنـهُ فـي إصـرارِهْ
ومضـــى والإلـــهُ نُصْـــبُ* مُنَـــاهُ ... يَتَخطّـــى الـرَّدى بِـمِـلْءِ اختيـارِهْ
قـهَرَ الصَّـعْبَ وانتَـضَى العَزمَ حَـتّى ... أخـــذَ المجـــدَ عَنْـــوَة* باقتِـــدَارِهْ
كـم ينـالُ الزمـانُ مـن أحْـرارهْ؟ ... وفَخَـــار الزّمـــانِ فـــي أحـــرارِهْ!

قرنايل: ١٧ ربيع الآخر ١٣٧٧

في وحدتي...

فـــي وحـــدتي ؛ والليـــل داجٍ .. والســـكون لـــه امتـــدادْ
والـــذكريات تلـــوح كســـلى بـــين أجفـــان الســـهاد
أصـــداء مـــاضٍ مـــا تـــزال .. تـــئن فـــي خفـــق الفـــؤاد

فـــي وحـــدتي؛ والصـــمت لـــف .. الكـــون فـــي رفـــقٍ وخَـــيَّمْ
إلا النســـيم فقـــد ســـرى متهاديًـــا، وشـــدا ورنَّـــم
فتـــرنح الغصـــن المطـــل علـــيَّ الشـــبح الملـــثمْ

فـــي وحـــدتي؛ والـــنجم بـــين .. الغـــيم يبســـم ثـــم يغـــربْ
وشـــعاعه مـــن خلـــف نافـــذتي .. يخالســـني ويهـــربْ
يمضـــي إلـــى صـــحف الغمـــام .. كأنهـــا نُـــشرتْ ليكتـــب

فـــي وحـــدتي؛ وحبيبتـــي أمـــي التـــي أهـــوى هواهـــا
أمـــي التـــي آنســـتها، وســـهرتُ أنهـــل مـــن رضـــاها
ذهبـــتْ تنـــام لســـاعةٍ، والنـــور يشـــرق مـــن تقاهـــا

فـــي وحـــدتي؛ والـــنفس مرســـلة .. العنـــان علـــى الســـجيهْ
ألقـــتْ قنـــاع البشـــر تســـتر .. فيـــه آلامًـــا خفيـــهْ
أمتـــي تنـــام فمـــا علـــى جفنـــي إذا أرق العشـــيهْ

فـــي وحـــدتي؛ والفكـــر فـــي الآلام والآمـــال شـــاردْ
والهـــم يمثـــل حيثمـــا حوَّلـــتُ أنظـــاري كمـــارد
فـــي أعينـــي هـــم يـــؤج .. وفـــي الضـــلوع الهـــم واقـــدْ

فـــي وحـــدتي؛ والقلـــب فـــي خفقاتـــه ظمـــأ وفـــورهْ
والجـــو مـــن أرج الربيـــع .. يثيـــر فـــي الأعمـــاق ثـــورهْ
وهـــوايَ ملتـــبس المعـــالم .. مرســـلٌ فـــي الغيـــب غـــورهْ

فـــي وحـــدتي، فـــي غرفـــةٍ فـــي الليـــل تبـــدو نائيـــهْ
وكأنهـــا مـــن هـــامش الـــدنيا .. ثـــوت فـــي هاويـــهْ
وعلـــى ســـرير مـــن حديـــد قـــد جثـــا فـــي زاويـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ مـــن يبصـــر الجســـم الممـــدد فـــي الســـريرْ
والصـــدر يلهـــث دون لأي فـــي الشـــهيق وفـــي الزفيـــرْ
تعـــب الهمـــوم أشـــد مـــن تعـــب الجســـوم علـــى الضـــميرْ

فـــي وحـــدتي؛ فـــي غرفتـــي، ... فـــي وحشـــةٍ حَـــرَّى كئيبـــهْ
أرنـــــو إلـــــى المســـــتقبل ... المجهـــول، أســـتجلي غيوبـــهْ
وعلـــى الجـــدار تـــرن دقـــة ... .. ســـاعة تمشـــي رتيبـــهْ*

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــاملي ... «بـــالراد*» تعبـــث دون غايـــهْ
تحبـــو بإبرتـــه رويـــدًا ... .. فـــي مـــداه إلـــى النهايـــهْ
فتشـــيح نفســـي، وهـــي غيـــرى، ... .. مـــن مهـــاترة الدعايـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــا أحـــاول ... .. صـــيد لحـــنٍ أشـــتهيهِ
متـــنقلاً بـــين الـــبلاد، ... .. أطيـــر مـــن تيـــهٍ لتيـــهِ
سَـــدِرَ* الشـــعور، فمـــا يعيـــه ... .. كأنـــه مـــا لا يعيـــهِ

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــا غريـــق ... .. فـــي اللحـــون وفـــي الشـــجونْ
غاضـــتْ حـــدودي عنـــدما ... أســـلمتُ للحلـــم العيـــونْ
وكـــأنني فـــي اللانهايـــة ... .. لســـتُ أفقـــهُ مـــا أكـــون

فـــي وحـــدتي؛ وأنـــا علـــى ... عتبـــات نـــوم شـــبه هـــادئْ
لا أســـتبين حقيقتـــي ... أنـــا هـــانئ أم غيـــر هـــانئْ
رعشـــتْ علـــى خـــدي تدغدغـــه ... .. ملامـــسُ مـــن مفـــاجئْ

فـــي وحـــدتي؛ انتبـــه الشـــعور ... .. علـــى اختلاجـــات الحشاشـــهْ*
وتبينـــتْ عينـــاي فـــوق ... .. «الـــراد» فـــي قلـــق فراشـــهْ
وإذا العبـــوس يـــزول عـــن ... نفســـي وتلتمـــع البشاشـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ أبصـــرتها ... تُـــلقي إلـــى «الـــراد» الشـــفاهْ
وكأنهـــا فـــي نـــوره الـــواني ... .. تـــرى درب النجـــاهْ
أو أنهـــا ظمـــأى تَـــعُبّ ... .. خلالـــه راح الحيـــاهْ

فـــي وحـــدتي؛ لاحظتهـــا ... تصـــغي إلـــى اللحـــن الخفيـــفْ
تحبـــو علـــى بلـــورة «الـــراد» ... .. المضـــيئة فـــي رفيـــفْ
تعلـــو وتهـــبط وهـــي ترســـل ... .. ثَـــمَّ حِسّـــًا كـــالحفيفْ

فـــي وحـــدتي؛ شـــاهدتها ... بـــين ارتـــداد وانبعـــاثِ
والـــلأي يرهـــق صـــدرها ... فتظـــل تمعـــن فـــي اللهـــاثِ
فســـألتها فـــي خـــاطري: ... مـــا تقصـــدين أيـــا خَـــنَـــاثِ*

فـــي وحـــدتي؛ وكأنهـــا ... فهمـــتْ تســـاؤل خـــاطري
فرنـــتْ إلـــيَّ وأقبلـــت ... لتـــرفَّ قـــرب محـــاجري
ولهـــى تنـــاجيني وأفهمهـــا ... .. بـــوحي الشـــاعر

فـــي وحـــدتي؛ عاينتهـــا ... وعلـــى جناحيهـــا غبـــارْ
فـــي ضـــوء «رادي» قـــد أشـــعَّ ... .. كأنمـــا هـــو مـــن نضـــارْ
تركـــتْ علـــى خـــدي نُثـــارًا ... .. منـــه، يـــا لطـــف النُـــثارْ

فـــي وحـــدتي؛ و«الـــراد» أصـــمتَ ... .. والفراشـــة فـــوق خـــدي
أطفأتـــه، والليـــل جـــاوزَ ... .. شـــطره ولزمـــتُ ســـهدي
والوجـــد أبهـــم واســـتبدَّ ... .. فـــأج فـــي الأنفـــاس وجـــدي

فـــي وحـــدتي؛ ثـــار الحنـــين ... .. يلـــوب فـــي أعمـــاق قلبـــي
يرجـــو لـــه ســـكنًا يلائـــم ... .. مشـــربي وينيـــر دربـــي
ويكـــون رائـــد هِمَّـــتي، ... ويبثنـــي حبًـــا بحـــبِّ

فـــي وحـــدتي؛ حتـــى الفراشـــة ... .. خَـلَّفَـــتْ خـــدِّي وطـــارتْ
ورمـــتْ بهيكلهـــا علـــى ... بلـــور نافـــذتي ودارتْ
ففتحتهـــا حتـــى تطيـــر، ... .. ولســـتُ أدري أيـــن صـــارتْ!

فـــي وحـــدتي، عـــاد العبـــوس ... .. إلـــيَّ وانتكـــأت جراحـــي
هـــذي الفراشـــة قـــد مضـــتْ ... تســـمي مرفرفـــة الجنـــاح
ســـرحتْ كمـــا يهـــوي الهـــوى ... ولبثـــتُ مغلـــول الســـراحِ

فـــي وحـــدتي؛ والـــروح فـــي ... أعماقـــه نصـــبٌ وغربـــهْ
أرســـلت نفســـي فـــي فجـــاج ... .. الليـــل، والآفـــاق رحبـــهْ
فاستشـــعرت بـــالله نفـــح ... .. ســـكينة فـــي القلـــب رطبـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ ارتـــوت الجـــوارحُ ... .. مـــن نـــدى تلـــك الســـكينهْ
وأحـــاط بـــي خـــدرٌ عجيـــب ... .. الكنـــهِ لـــم أعـــرف معينـــهْ
وكـــأنني فـــوق الغمـــام ... .. أســـيح فـــي دنيـــا أمينـــهْ

فـــي وحـــدتي؛ آمنـــتُ أنَّ ... .. الـــنفس بالحرمـــان تصـــفو
فطويـــتُ أحنـــاءَ الضـــلوع ... .. علـــى جـــواي ورحـــتُ أغفـــو
والحُـــلم يرقـــى بـــي معـــارجَ ... .. كلهـــا ذوق ولطـــف

جبل الأربعين – اريحا: ٢ ذي القعدة ١٣٧٨

عزلة الأحرار...

قالوا: اعتزلتَ! فقلتُ: صنتُ كرامتي ... ولزمتُ في رهج* الزحام إبائي
لاءمت بين تصرفي وسجيتي ... وحفظتُ حق الله والعلياءِ
وذخرتُ نفسي للعظائم صابرًا ... وطويتُ عن ذلِّ الصَّغار ردائي

قالوا: ألستَ تمل؟ قلتُ: يَمَلّ مَنْ ... قصُرْتُ أخادعه* عن الجوزاءِ
إني لأغمض أعيني ومسامعي ... هربًا من الأبهاء والضوضاءِ
وأهيم في جو التوحد مصعدًا ... متنعمًا بتنفس الصعداءِ*
فأسيح من ملكوت روحي في دنى ... لا تنتهي، مبسوطة الأرجاءِ
مغمورة بالخير، زاهية السنا، ... مأنوسة، خلابة الأجواءِ
الحب رونق زهرها وأريجه، ... والصفو ظل رياضها الفيحاءِ
وثمارها الود الصراح، وجنيها ... نيل المنى البسامة الغراءِ
أما هناءات الوصال ونشوة ... اللقيا فبث أثيرها* الوضاءِ
لا أرض فيها، لا تراب، ولا خنا، ... برئت من الشحناء والبغضاءِ
فجهاتها تبدو سماءً كلها، ... وسماؤها كنه من الأضواءِ
آفاقها مأمومة، وحدودها ... معدومة، والماء غير الماءِ
روحٌ، وريحان، وراحٌ، ولذةٌ ... لا غول* فيها، من سنا وسناءِ
سكني الذي تأوي إليه جوارحي ... في كل نازلةٍ، وسر شفائي
مهوى قلوب ذوي القلوب وطبها، ... مسرى رجال الله والشعراءِ
وطن بنتهُ لي النجوم وأبدعتْ ... في صوغه من عزةٍ وصفاءِ
فأنا الغريب غداة أنأى عن ربى ... جناته الوضاحة الغناءِ

قالوا: ومعترك الجهادِ؟ فقلتُ هلْ ... أضحى الجهاد تهاتف الغوغاء؟
وتهافت المتفرجين، وزينةً، ... وتدافعًا في الساح يوم رخاءِ!
إن الجهاد حصانة ومتانة، ... وصيانةٌ، في عزمةٍ وإباءِ
إن الجهاد أمانة، ورجولة، ... ومن الجهاد كياسة الحكماءِ
إن الجهاد رياضة تُذكي النهى* ... ليس الجهاد مطية الخيلاءِ
والجور، والدعوى، ومجدًا زائفًا ... عمهُ النفوس رزية الأرزاءِ
إن الجهاد تقى القلوب، وعفةُ ... المضطر، رغم لجاجة الإغراءِ
والعزم يوم البأس يحدوه الحجا، ... والبذل في البأساء والضراءِ

قالوا اعتزلتَ! فقلتُ عزلةَ رابضٍ ... متحفز للوثبة الشماءِ
إني لأرجو أن أحاول صادقًا ... في صوغ ذاتي من تقىً ومضاءِ
لأكون في الجُلى إذا الداعي دعا ... سهمًا يصيب مقاتل الأعداءِ
وأجودَ بالنفس الزكية في رضا ... ربي وأرخِص في الإله دمائي
فأنال إحدى الحسنيين كرامةً ... بالنصر، أو بمنازل الشهداءِ

مـــا عزلـــة الأحـــرار إلا عـــزةٌ، ... والصبر كل الصبر في اللأواءِ*
وضـــجيج شـــذاذ الحجـــا وعجـــيجهم ... زبـــدٌ يـــذوب، وجمعهـــم كغثـــاءِ
إن التوحـــد فـــي الرجـــال إلـــى مـــدى ... شـــحذ لحـــدِّ الهمـــةِ القعســـاءِ

جبل الأربعين – اريحا: ١٩ محرم ١٣٧٩

نور...

مـــاذا علـــى عينـــيَّ يـــرعشُ ... .. حـــين أجلـــس أو أقـــومْ
أغشـــيتهما مـــن قلبـــيَ المضـــنى ... .. غشـــــاوات الهمـــــومْ
فكـــأن بينهمـــا وبـــين الكـــون ... .. ســـــدا مـــــن غيـــــوم

أم أنهـــــا العبـــــرات أجَّـــــتْ ... فـــــي تضـــــاعيف الشـــــؤونْ*
تبغـــــي التحـــــدرَ والرجولـــــةُ ... .. تحجـــــز الـــــدمع الهتـــــونْ*
فاغرورقـــــــتْ وتماســـــــكتْ ... ظُـــــللاً* تهدهـــدها* الشـــجونْ

أم تلـــــك مقلـــــة طـــــامحٍ ... علِقَـــــتْ بـــــأجواء العـــــلاءْ
صـــعِدتْ علـــى كتـــف الـــدنى* ... ترنـــو إلـــى مـــلأ الســـماء
فـــــرأت ينـــــابيع الضـــــياءِ ... .. فحّلتهـــــا بالضـــــياء

والنـــــور كالظلمـــــاء يُعشـــــي، ... والهـــــوى يضـــــني ويُســـــعدْ
والعـــــين مـــــرآة الفـــــؤاد، ... وبعـــــض داء القلـــــب يرمـــــدْ
والـــــدهر دولاب العجائـــــب ... دائـــــرٌ يـــــدني ويبعِـــــد

الـــــروح أرهقـــــه إســـــار ... الكـــــون، واستشـــــرى عذابـــــه
والقلـــــب فـــــي غلـــــق الأســـــى ... والوجـــــد، أقلقـــــه شـــــبابهْ
والجســـم فيـــه تمـــرد الغِيَّـــان* ... .. ضـــــاق بـــــه إهابـــــهْ

يـــا ربِّ؛ فـــي حلـــك الهمـــوم ... وفـــي مجاهـــدة الســـريرهْ
يـــا ربِّ؛ فـــي إبهـــام دربـــي ... فـــي المتاهـــات المثيـــرهْ
يـــا ربِّ هـــب لـــي مـــن لـــدنكَ ... .. ســـكينةً وهـــدى بصـــيرهْ

جبل الأربعين – أريحا: ٦ ربيع الأول ١٣٧٩

في أسر الحياة

ربـــاه قـــد ضـــج الألـــم ... والكـــون نـــام ولـــم أنـــمْ
الواقـــع المضـــني الممـــض ... .. يجرنـــي نحـــو الظُـلَـــمْ
ومُنـــايَ ترقـــى فـــي الســـماء ... .. وتمتطـــي الـــنجم الأشـــمْ
وعـــوالم الغيـــب البعيـــد ... .. تلـــوح كـــالحلم الأصـــمْ

أنـــا لســـتُ أدري خلـــف هـــذا ... .. الـــدرب مـــاذا قـــد جـــثمْ
ووراء آكـــام الغـــد المجهـــول ... .. أيَّ أســـــــىً ألـــــــمّ*
مـــا «للهواتـــف» لا تنـــي ... يـــا ليـــت قلبـــي فـــي صـــممْ
فـــي الـــنفس كـــم مـــن هـــاتفٍ ... والأهـــل كـــم هتفـــوا وكـــمْ
وأنـــا رهـــين توحـــدي ... أحيـــا علـــى هـــمّ وغـــم
وغـــدا أســـير إلـــيهمُ ... فأســـير مـــن هـــمّ لِهَـــمّ

والله لـــولا الله والطبـــع ... .. العيـــوف لمـــا يُـــذم
ووجائـــبٌ حَكَـــمَ الزمـــان ... .. بهـــا، وطفـــل كـــالغنم
ومـــروءة بـــدمي تجـــول، ... .. وأنَّ هـــذا القلـــبَ دم
للزمـــــتُ دار توحـــــدي ... حتـــى أُسَرْبَـــل بالعـــدمْ
متصـــــبرًا، متربصًـــــا ... كالليـــث يـــربض فـــي الأجـــم
أو ســـحتُ فـــي الـــدنيا ورحـــتُ ... .. أجـــوب أفنـــان القمـــم
متأبطـــًا كنـــف الوجـــود ... .. علـــى سَـــبّوحٍ* مـــن شـــممْ
متســـــليًا بالفرقـــــدين ... .. وبـــــالبلاد وبـــــالأممْ
الكـــون مســـرح خـــاطري ... والغيـــب مُدَّخَـــرُ الحِكـــم
قيـــد علـــى الجـــوزاء قـــد ... قبضـــتْ، ورجـــل فـــي الهـــرمْ
فلعلنـــي أنســـى الزمـــان، ... .. ومـــا ألـــمّ، ومـــا دهـــم
ولعلنـــي أســـلو هـــوىً ... فـــي القلـــب يعصـــف كـــالحممْ

والله لـــولا الله، والمـــوروث ... .. مـــن خيـــر الشـــيمْ
لنزحـــتُ عـــن دنيـــا قِـــوامُ ... .. حياتهـــا خفـــر* الـــذممْ
ودفعـــتُ روحـــي فـــي المـــدى ... النـــائي، وحطَّـــمْتُ الصـــنمْ
لكننـــي المـــأخوذ فـــي ... أســـر الحيـــاة؛ ولا نـــدمْ
قـــدرٌ تحكـــم فـــي الرقـــاب، ... .. وســـهم دهـــر قـــد نجـــمْ*
مـــاذا يفيـــد ذوي الحجـــا ... نـــدمٌ وقـــد طُـــويَ العلـــم
جـــف المـــداد، فـــلا مـــراء ... .. ولا منـــى، رُفـــع القلـــم
أمـــر الإلـــه وحكمـــه ... والله أحكـــمُ مَـــن حكـــم
ســـلمتُ للـــرحمن تســـليم ... .. العزيـــز إذا عـــزم
ورضـــيت حكـــم الله فـــي ... الـــروح المضـــرج بـــالألم

جبل الأربعين – أريحا: ١٠ ربيع الأول ١٣٧٩

ألوان طيف

شعور

قـال لـي صـاحبي يفنّـد شـعري ... إن شـعري كـالنّثر سـهل مُرَقـرقْ*
سبْكـُهُ ضـامِر اللحـون جَـدِيب* ... واصـطفاء الألفـاظ غيـر مُوفـقْ
قالهـا فـي لباقـة واعتـذار ... قلْتُ « عبد الكريم » ويْـكَ تـرَفـقْ
ليس شعري لفظاً وسَبْكـاً وجَرْسـاً ... بـل شـعوراً فيـه التعـابير تـغـرَقْ
خفقـة مـن حُشاشـة القلـب حـرّى ... كيـف يـا صـاحبي الوَجـِيبُ يُـزَوّقْ
زفـرات ولوعـة ونَشِـيج* ... كيـف يـا صـاحبي النحيـب ينمّـقْ
كيـف أختـار نبْرتـي حـين أضـحك ... كـيف أخـتار أنـّتـي حين أشـهـقْ
أنـا لا أعـرف التصـنع فـي شـعري ... فشـعري سَجـيّـتي حـين تـُطلـَقْ
كلمـا سـاقني إلـى الصـعب عزمـي ... بَسَـمَ المجـد فـي فمـي وتألـّقْ
كلمـا شـاقني مـن الـدهر صـنع ... قهقـه البشر ملء شِـعْري وصفـّقْ
كلمـا عـاقني عـن الخيـر شـر ... أرعـد السّـخْط فـي كلامـي وأبْـرقْ
كلمـا راقنـي جمـال بـديع ... لـَمَعَ الحُسْـنُ فـي بيـاني وأشـرقْ
كلمـا رَابَنـي مـن النـاس أمـر ... حّـزِنَ الحـقّ مـن مقـالي وأشـفقْ
كلمـا سـاءني بقـومي خطـب ... وَجَـمَ الهَـمّ فـي قَـريضِي وأطْـرَقْ
كلمـا هـاجني مـن الشـوق لحـن ... حوّمَ الـوَجْدُ في نـشـيدي وحلـّقْ
كلمـا مـرّ بـي نعـيم وبـؤس ... فـي مرايـا القصـيد حسّـي تفتـّقْ
كيـف لـي باختيـار لفـظ مُنَمّـق ... كيـف لـي باصـطناع لحـن مـروّقْ
وشـعوري ينسـاب فيضـاً غزيـراً ... مـن أحاسـيس خِلْـقَـتي يتدفـّق
كـُل حِس قـد صـيغ لفظـاً ومعنـى ... دون قصـد منـي، ولاحَ برونـق
هـل لزهـر الرُّبـى اصـطفاء شـذاه ... كـل زهـر كمـا تكـوّن يَعْبَـقْ
واللحـون التـي يـروق وتـُشْجِـي ... كـالنفوس التـي تـُحِـب وتعشـقْ
هـي ذوق، والـذوق سِـرٌ عجـاب ... من قيـود التـّفـْنيد والـرأي مطلـقْ
ونشـيد الصـفا فـي الكـرب يَنْبـو ... ونَشِيجُ الشـّقاء في الأنْس يصعقْ*
فـإذا رُمْـتَ أن تـُحلـّق فـي أجـواءِ ... .. كنهـي، أغْـرق كمـا هـو أغْـرَقْ
وتـَمَعّن، يـا صـاحبي، وتأمّـل ... وحـي شَـدْوي وسِـرّه، وتـذوّقْ
وتقبّـل شِـعْري كمـا جـاء، وابْسِـم ... مـا تغنّـى، وإن بكـى فتَـحَرّقْ
وانسـجم فـي شـعوره وتمـازج ... وتـَخَمّر في روحـه و « تـعـتـّقْ
والـتمِس فـي وجيـب قلبـك همّـي ... وبعينيـكَ سُـهْدَ جَفْنـي المُـؤرّقْ
وتلـبّس نفـْسي تـَرَ اللحـن أشـجى ... وانتقـاء الألفـاظ أهـدى وأوفـق
وعسـى أن تكـون بـي وبشـعري ... وشـعوري إذ ذاك أنـدى وأرفـقْ..
إن روحـا يـدور فـي فـَلـَك الـذات، ... سـيبقى، مهمـا تسـامى، كزئبـقْ
فـإذا مـا حنـا علـى كـل روح ... وتـدانى، بـِكـُـلِّ روح تـَوثـّقْ

قرنايل: ١٣٧٧ــ ١٩٥٧

أب

قرنايل: ١٣٧٧ــ ١٩٥٧

كنت مع أولادي الثمانية، وأسرتي، في مصيف « قرنايل ». ثم سافروا جميعاً إلى « حلب » ، وتلبّثتُ وحدي في خلوة شعرية:

أب

أيــن الضــجيج العــذب والشــغب؟ أيــن التــدارس، شــابَهُ اللعــبُ؟
أيــن الطفولــة فــي توقّــدها أين الدّمى، في الأرض، والكُتُبُ
أيــن التشــاكس دونمــا غــرض أيــن الشــاكي مالــه ســببُ
أيــن التباكي والتضــاحك، فــي وقــتٍ معــاً، والحُــزن الطــربُ
أيــن التســابق فــي مجــاورتي شــغفاً، إذا أكلــوا وإن شــربوا
يتزاحمــون علــى مجالســتي والقــربِ منــي حيثمــا انقلبــوا
يتوجّهــونَ بِسَــوْقِ فِطْــرتهم نحــوي، إذا رَهَبُــوا وإن رَغِبُــوا
فنشيدهــم: « بابــا » إذا فرحــوا ووعيــدهم: « بابــا » إذا غضــبوا
وهتفُــاهم: « بابــا » إذا ابتعــدوا ونَجِــيّهُم: « بابــا » إذا اقتربــوا

بــالأمس كــانوا مِــلء منزلنــا واليــوم، ويــح اليــوم، قــدْ ذهَبُــوا
وكأنمــا الصــمت الــذي هبطــت أثقالــه فــي الــدار إذ غربــوا
إغْفــاءةُ المَحْمُــوم، هَدْأتُهــا فيهــا يشــيع الهــم والتعــبُ
ذهبــوا، أجــل ذهبــوا، ومَسْكَــنُهُم فــي القلب، مــا شطّوا ومــا قَــرُبُوا
إنــي أراهــم أينمــا التفتــتْ نفســي، وقــد ســكنوا، وقــد وثبــوا
وأحِــس فــي خَلَــدي تلاعُــبَهُم فــي الــدار، لــيس ينــالهم نصــبُ
وبريــقَ أعيــنهم، إذا ظفــروا ودمــوع حــرقتهم، إذا غرقــوا
فــي كــل ركــن مــنهم أثــر وبكــل زاويــة لهــم صَــخَبُ
فــي النافــذات، زُجَاجَهــا حَطَــمُوا فــي الحــائط المدهون، قــد ثَــقَــبُوا
فــي البــاب، قــد كســروا مزالِجَــه، وعليــه قــد رســموا وقــد كتبــوا
فــي الصّــحن، بعــضُ مــا أكلــوا فــي علبــة الحلــوى التــي نَهَبُــوا
فــي الشّطْــر مــن تفاحــة قضــموا فــي فَضْلَــةَ المــاء التــي سَكَــبُوا
إنــي أراهــم حيثمــا اتّجــهتْ عينــي، كأســراب القطــا، سَــرَبُوا
بــالأمس فــي « قــرْنايلٍ*» نزلــوا واليــوم قــد ضــمّتهُمُ « حلــبُ »

دمعــي الــذي كتمْتــهُ جَلَــداً لمّــا تبــاكوا عنــدما ركبــوا
حتــى إذا ســاروا وقــد نزعــوا مــن أضــلعي قلبــاً بهــم يَجِــبُ
ألْفَيْتــنِي كالطفــل عاطفــةً فــإذا بــه كالغيــث ينســكبُ
قــد يعجَــبُ العــذال مــن رجــلٍ يبكــي، ولــو لــم أبْــكِ فالعجــبُ
هيهــاتَ مــا كُــل البُكــا خَــوَر إنّــي، وبــي عــزمُ الرجــال، أب

شكاة

الرياض: ١٣٧٧ــ ١٩٥٨

أخي في الله والأدب أبا الحسن... قصدت « الرياض » بعد زيارة « باكستان » والمشاركة في « الندوة العالميّة للإسلاميات* » ، لأزور جلالة الملك، مودعا، بعد انتهاء مهمّـتي، كسفير للجمهورية السوريّة في بلاده العزيزة.

كانت نفسي تجيش بالآمال والآلام، وقد تجسّم لي في « النّدوة » ما كنت أشعر به دائما، من قوة الإسلام الهائلة، وإمكانات المسلمين الضائعة في غمرة من صعوبة العمل، وحيرة العاملين، بين ضعف القادة، وكيد الكائدين.

وكانت وحدة « مصر » و « الشام » تسير خلال ذلك في خطوات أعجل من سير الفكر!

وكانت السماء تجود على أصقاع الجزيرة بالغيث المدرار.

وكانت الأخبار تتوارد عن أحداث الجزائر الدامية.

كنتُ مشوقاً إليك، أومل أن ألقاك وأبثّـك شوارد الخاطر، وأستجلي بحنكتك وإخلاصك غوامض الرأي، والتباس السبل؛ فلم أجدك في « الرياض » وعلمت أنك غادرتها إلى « جدة ».

وأعلِنت الوحدة » ...

وفي جناني قصيدة تمليها كل تلك المعاني: نجوى روحٍ لروح، والتماس طبٍ لجروح، وقد جاءت عفو الخاطر، فيها أثر من الأجواء المحيطة بها، وها إني أقدّمها إليك، داعياً الله العلي القدير، للبلاد ولك وللمسلمين بالفرج والعزّة، والتأييد والهداية؛ إنه من وراء القصد.

الرياض: ١٦ رجب ١٣٧٧ ع . ا

شكاة

« أبا حسن » قد أتيتُ « الرياض » ... مَشوقاً إلى روضك الزاهر
إلى قلبك المستنير الكبير ... إلى روحك المشرق الناضر
إلى النّـُبْـل يزكو أريجاً بهيجاً ... وينضح من خيمك* العاطر
إلى نفس حرّ حباها الإله ... سجايا من الخُلـُق الباهر
أتيتُ الرياضَ مشُوقاً إليكَ ... أبيَّ الهوى، شارد الخاطر
أؤَمِل عِنْدكَ رأياً لـُباباً ... ينير المَحَجّة* لِلحائِر
فقيل: مضى مُتْبِعاً حظَّهُ ... « على الطائر » فقلت: « الحجاز »
وأسْعدَني أن تسيرَ الحُظوظ ... أمامَكَ كالمَثـَل السّائِر
بشارات خير تـَزُفّ ُ الرَّجاءَ ... ندِيّاً مع الوابل المـاطر
تـُلِينُ لعزمِكَ صعب الأمور ... فتظفر بالمطلب القاهرِ
ولم أتـَمَلْمَلْ وسُقـْتُ الدعاء ... بفوزكَ للناصر القادرِ
وأمّلْتُ لـُقْياكَ في « جدة » ... وما كان جدّي بالعاثرِ

« أبـا حسـن » قـد رمـاني الزمـان ... مـن الأمـر فـي مُبهِـمٍ مغلـقِ
عصـاني الحِجى فـي اختيـار السبيل ... إلـى نيـل مطلبـي المرهـقِ
فقـومي، وأعظِـمْ بِـهِـمْ أمَّـة، ... أرُومَتـُها* للعُـلى ترتقـي
تفجّـرَ فـي دمِهِـمْ مجـدُها ... فثـاروا علـى الخطـر المُحْـدِقِ
وقـد مَـلَـكَ الأمْـرَ مـنهم رجـالٌ ... يُخـالِف مـنطقهم منطِقـي
لنـا أرَب فـي العُلـى واحِـدُ ... ومَوْثِـقـُهُم فـي الـوغى مَـوْثِقِي
ولكـنّهُم ركِبـوا مَسْـلكاً ... يحِيـد عـن الجَـدَدِ المشـرقِ
نَـأوْا عـن هـدى الله فـي نـَهْجِـهِـمْ ... وسـاروا.. وسـرتُ.. فلـم نلتـقِ
أريـد بإيمـان قلـب جسـور ... وعقـلٍ غيـورٍ وقصـدٍ نقـي
رجوعـاً بهـم لسـواء السـبيل ... حيـادا عـن الغـرب والمشـرقِ
فـإني أراهـم بعـين البصـيرة ... مـن قلـق الوضـع كـالزئبقِ
فكـن يـا « أبـا حسـن » مُسـعفي ... نـذود النّـوازلَ أو نَـتـّقي

ضَـمَمْتُ الجَنَـاحَ عَلـى خَـافقٍ ... بحـبٍّ بـلادي وقـومي وجَـبْ
وَغَـادَرْتُ مِثـْلَ فِـراخِ الحَمَـامِ ... صـغاراً يُنـاغُونَنِي فـي « حلـبْ »
وسِـرتُ، ابتغـاء رضـا الله، أطلـبُ ... عـزّ الجهـادِ، ونعـمَ الطلـبْ
ومـا فـي حيـاتي مـن مَطـْمَعٍ ... لنفسـي، فـلا رغـبٌ ولا رهـبْ
غنـيٌّ عـن الخلـق بـالله لا ... أفكـر فـي نَشَـبٍ* أو رُتَـبْ
إذا مـا توخـّيْتُ رفـْقـاً وصـبراً ... فـذلك مـن خشـية المُنقَـلَـبْ
فريْـتُ المُثابـِرَ أمضـى خُطـَىً ... وأبلـغُ مـن قفـزاتِ الصّـخَبْ
وكانـت أنـاةُ الفتـى فـي التقـدّم ... أهـدى وأجـدى لنيـل الأرَبْ
ومسـتعجلُ الشـيئ قبـل الأوانِ ... يُصـيب الخَسَـارَ وَيَجنـي النَّصَـبْ
فمـا حيلتـي وغثـاءُ السياسـة ... قـد غالـبَ الـرأي حتـى غَلـَبْ
و « حزبيـة » الحكـم باتـت تـُسيِّرُ ... أمْـرَ الـبلاد الـذي قـد حَـزَبْ*
حمـى اللهُ مِـن شـرِّها وَحْـدَةً ... نريـد بهـا جمـع شـمل العَـرَبْ

« أبـا حسـن » أنـا فـي غربـةٍ ... علـى أنّنـي فـي صـميم الـوطنْ
غريـب المنـى مُستَحِـرّ* الضـّنى ... رهـين العنـا فـي نِطـاق الـزمن
أريـدُ، ومـا لـي أحـدِّث عَمّـا ... أريـد، وَمَنْـذا يعـي القـول مَـن!؟
وجـلّ الـورى فـي خِضِـمِّ الحيـاة ... أسـارى الهـوى فـي صـراعِ الفِتـَنْ
وفـي المطلـب الصـعب جلَّ المسير ... وقـلّ النصـير وعـزّ السـكن
طِـلابُ المعـالي عَسِـير المَنَـال ... وقـد عـوِّد الحـر أن يُمـتحن
تفـرّقَ بـالقوم حكـّامُهُم ... وزاغـت قلـوب غَذَتـْها الإحَـنْ*
وماعـت مـن التـّرف المُسـتذِل ... نفـوس ضـعاف دهاهـا الـوَهنْ*

وفي وحدة القوم خير وفير ... ومجدٌ جديرٌ بأغلى ثمنْ
لقد أعلنوها، ولكنني ... أكاد أرى غير ما قد عَلَنْ!
أريد بناةً حماةً لها ... إذا قَلَبَ الدّهرُ ظهرَ المِجَنْ*
فمن لي بإنشاء جيلٍ أبيّ ... تَقِيٍ قويٍ يَصُدّ المِحَنْ

« أبا حسن » يا كريم النِّجاد* ... ألستَ ترى سوء حال البلادْ
ألستَ ترى الحقّ في مأزقٍ ... وقد فرّق البغي بين العبادْ
فَصَرعى الغِنى في لَذاذاتِهِمْ ... وصرعى الخَصَاصَةِ* أسرى سُهَادْ
ورهطُ الحكومات قد جَانَبُوا ... هُداهُم وضلّوا صراط السدادْ
لقد أركبَتْهُم سياساتُهُم ... مراكب تجري بوحي العناد
فبعضٌ تظاهر في غيّهِ ... وبعضٌ تستّر خلف الحِيادْ
نسُوْا واجِب الخلْقِ واستكبَرُوا ... فَعَمَّ البلاءُ وَطَمَّ الفساد
فكيف النّجاةُ وكيف الحياة ... وكلٌّ له في هواه اجتهادْ
وكلٌّ يريد استياق القطيع ... إلى مبتغاه، وبئس المراد
فهَلاَّ ابتدرنا إلى نجْدة ... وهلاَّ استجبْنا لداعي الجهادْ
فإما حياةُ الهدى والإباء ... وإما الشهادة يوم الجِلادْ

« أبا حسن » أرهِفِ الحِسّ مِنْ ... ضمِيرِكَ، واسمع نداء البِطاحْ
تَمَازَجَ فيه هتاف الثّكالى: ... إلى الثّأر، حلّ محلّ النّواحْ
وصوت المؤذن: « الله أكبر » ... يحدو الجُمُوع، ويشفي الجِراحْ
وزمْجَرَةُ البَأسِ في فتية ... لقوا الله زحفاً بأمضى سلاحْ
تلافَوا بعَزْمَةِ إيمانِهِم ... هُزال السِّلاح وخاضوا الكفاحْ
نِدَاءُ بِطاحِ « الجزائر » هذا ... تَئِنّ وتزأر منه الرياحْ
شباب « الجزائر » يُسْتَشهَدُون، ... وللمجد حق، وللنصر ساحْ
أبناءُ أعمامهم يُنعُمون ... بِصفو الحياة وأنْسِ المِلاحْ
أيبذل قوم زكيَّ الدماء ... – وبذل الدماء سبيل الفلاحْ –
وأمْثَلُنَا يَبذل الفضْلَ مِنْ ... نَدَاهُ، ويدعو لهم بالنجاحْ!
ألا يا مروءاتُ فاسْتنفِري ... ذويكِ وهُزّي القنا والرماح
حرامٌ على الحُرِّ طِيْبُ الرقاد ... وليس المباح، الغَدَاةَ، مُباحْ!

« أبا حسن » قد أطلْتُ الشكاة ... ولا غُرْوَ، فالخطب خَطب جَلَلْ
وما بالشكاة تُلاقى الخطوب ... ولكنّها صُحبةٌ تُهْتَبَلْ*
فبَثّ الشَّكاةِ إلى ذي المُرُوءةِ ... يُسعفُ في شَحْذِ روح الأمَلْ
يُداري الهُموم وَيَشْفي الكُلُوم ... ويُرْوي الصّدى ويُريحُ المُقَلْ

« أبـا حسـن » لسـتُ فـي مِرْيَـةٍ مـن العـزم، لكننـي فـي وجـلْ
قـد اسـتعجل القـومُ مـا اسـتعجلوا وقـى الله خطـوَهُم مـن زلَـلْ
ومـا الأمـر مـن شأنِهـِم وحـدهُم ولكنـه شـأنُ خيـر المِلَـلْ
ومـا « وحـدة » العُـرْبِ شَـأْوٌ يسـيرٌ ولكنّـه بَعْـثُ نجـم أفَـلْ
أرى الـدّهر قـد جـدّ فـي أمرنـا فيـا ويـل تـدبيرنا إن هـزلْ
إذا اخْـتلّ شـيئاً بنـاءُ الأسـاسِ تضـاعف فـي الصـرح ذاك الخلـل
فـلا بُـدّ مِـن رَأبِ* كُـلِّ الصّـُدُوع وجمْـع الصّـفوفِ ودرء العِلَـلْ
ولا بـدّ مـن قصـدِ ذاتِ الإلـه وحشـد القـوى ليصِـحّ العمـلْ

كرامة

حلب: ١٣٧٨ــ ١٩٥٨

عام يمر على مغادرتي السلك السياسي، لخلاف في المبادئ مع الحاكمين.

وحدي في « جبل الأربعين » شهراً من الخريف.

أعود إلى « حلب » ، وقد تشكلت وزارة جديدة، فيها أخ كريم صميم. تسألني « رصينة » أختي: كيف أقضي الأيام وماذا سأعمل...؟!.

وتشير أمي، رغم إبائها، بأن أكتب إلى الأخ الوزير، تذكيراً بنفسي!

وكنت في هموم أترقّب طفلي التاسع، وأرقب بمرارة، اضطراب سياسة الحكم في البلاد:

كرامة

جاوزتُ سن الأربعين ... يا نفس هلا ترْعوينْ؟
ضيّعتِ عهد صباي همّاً ... في الحنين وفي الأنينْ!
تُشكى النفوس وتُجتوى* ... من سيرها فيما يشينْ
أما أنا فشكوت نفسي ... من قناة لا تلينْ
قد أرهقتني بالعُلى ... فعسى أكون بها القمينْ*

أنا لا أبرِّئها، ولكنّي ... .. أحاذرُ ما يَهينْ
أما الجمال فما له عن ... أعيُني من حاجِزينْ
لَمَمُ* الهوى، المغْفُوّ عنه ... .. وفي العيون له معينْ*
ذاتَ الصِّبا والحُسن يا ... أخْتَ السّنا والياسَمينْ
إني لأفهم من لَحَاظِكِ ... في الحشا ما تكتُمينْ
وأرى بنهْديْك اللذين ... توثّبا في الواثبينْ
من سرِّ قلبك والصَّبابة ... ما حَجبت عن الخدِينْ*
أرنو إليكِ كما رنوْتِ ... وأشتهي ما تشتهينْ
لكنني لا أستكين ... لِنزْوَتي، لا أستكينْ
زجر النفوس عن التّمادي ... .. في الهوى طبع متينْ
لي في مضاء العزم صبر ... إنه كنز ثمينْ

أختي « رصينة » قد سألت ... عن الذي لا تجهلين:
عمّا أزاولُهُ وأحْيا ... فيهِ؟ هلاّ تعلمين!؟
في غمرة العُمُر المبَدَّد ... .. في التوافه يا « رصينْ »
أحيا بظلِّ كفاءتي ... وملاءَتي كالمُمْلِقِينْ
أحيا غني النفس في ... شَمَمِ الأباةِ المُعوزِينْ
ولعلّ ذا ما أستحق، ... ونِعمَ أجْرُ العامِلِينْ!!
أو أنّ لي « رجعيّةً » ... أدْعى بها في « الجامِدينْ » !
مُثُلٌ أدين بها، ومِثْلِي، ... .. لا ينوء بما يدينْ

مُثُـــلٌ مـــن الخلـــق القـــويم ... ومبْـــــدَأ حُـــــرٌ وَديـــــنْ
لِـــمَ لا أماجِـــــنُ أو أخـــادِن ... .. أو أداهِـــــنُ أو أمـــــينْ*!
لـــم لا أكـــون معربِـــداً ... مترديـــا فـــي العـــابثينْ؟!
هـــذا جزائـــي بَـــلْ جَـــزاءُ ... .. الثـــابتين الســـابقينْ!
الصـــادقين عُهُـــودَهُم ... المُخْـــلِصِين الناصـــحينْ!!

أختـــاه؛ قـــد صـــارت مبـــادئ ... .. مِثْـــلِنا فـــي الغـــابرينْ
وتطلّـــبَتْ روح « التّـــجَدّدِ » ... نَبْـــذَ ســـير الســـالفينْ!
« شـــيم الأواخـــر » مطلـــبٌ ... لا ينبغـــي « للأولـــينْ » !
فالـــدّينُ والخُـــلُـــقُ المتـــين ... حُثَـــاث* عهـــد الأقـــدمينْ
والخالـــدون؛ خُرافَـــةُ الماضـــي ... ومـــا مـــن خالـــدِين
إلا « رعـــاة الشـــعب » روّاد ... .. الكفـــاح « الكـــادحين »
المســـتمدّين الهدايـــة ... من « لينين » أو « استالين » !
ذخْـــرُ الـــبلاد هُـــمُ ، ... وغيـــرهم صـــدى المســـتعمرين
وصـــنائعُ الأعـــداء رَهْـــطُ ... .. الخـــائنين المـــارقين!

لا ضـــيْر يـــا أختـــاه أنْ ... أحيـــا حيـــاة الزاهـــدينْ
مُتَجَنِّبـــاً رَهـــجَ* الزمـــان ... كـــأنني ليـــث رَهِـــينْ
فكرامـــة الإنســـان أجْـــدى ... مـــن كنـــوز الكـــانزينْ
وترفّـــعُ المضـــطر أســـمى ... مـــن طمـــوح الطـــامحينْ

كـــم ليلـــةٍ أحيَيْتُـــها ... متوجِّـــداً فـــي « الأربعـــينْ »*
مُتَـــفكراً مُتَـــذكّـــراً ... مُســـتعبراً جـــمّ الحنـــينْ
مســـترجعاً مـــا كـــان مـــن ... أمـــري علـــى مـــرّ الســـنينْ
عمـــل بـــذلتُ لـــه قصـــارى.. ... الجهـــدِ بـــذل الصـــادقينْ
أخْـــلصْتُ لا مُتكلّـــفاً ... فَأثَـــرْتُ غيـــر المخلصـــينْ
واسْـتَـهْدفَـتْـــنِي فـــي الحيـــاة ... ســـهامُ بغـــي الكائـــدينْ
وإذا الـنـفـــوس تـهـــافـتَـتْ ... ألْـفَـيْـتُـــنِي فـــي الثـــابتينْ
أللهُ يعلـــمِ والملائِـــكُ ... .. حاسِـــبين وكـــاتبينْ
بـــين الـــوزارة والســـفارة* ... .. مـــا لقيـــتُ مـــن الســـنينْ
وتشـــرّدي عـــن مـــوْطني ... والبعْـــدِ عـــن أمِّ البنـــينْ
وعـــن الصـــغار شَـــغَـــافِ قلبـــي ... .. الـــدّارجين الـــزاحفينْ
وتَـجَـــرُّعِي غُصـــصَ النَّـــوَى ... وتصبّـــري فـــي الصـــابرينْ
والحَـــيْنُ* يرقُـــبُني وأرقُـــبُ ... .. أمْـــرَهُ فـــي كـــلِّ حـــينْ
حتّـــى إذا مـــا زلـــزل.. ... الـــرحمن عـــرشَ الظـــالمينْ
وتســـابَقَ المُـتَـنـــاهِبُون ... .. وأصـــبحوا فـــي الحـــاكمينْ
وتقسّـــمُوا مـــا بيـــنهم ... أسْـــلابَ قـــوم ذاهبـــينْ

حَـــبسَ التّـرفـّـُـــع خُطـــوتي ... فوجدْتـــُنِي فـــي المُحْجِـــمِينْ
ودُعِـــيـــتُ للجُـــلـَّـــى* فـــلـــم ... أحْجِـــم وغِظـــتُ الحاســـدينْ
وبـــذلتُ نفْســـي دونَ قصـــدٍ* ... .. فـــي حمـــى البلـــدِ الأمـــينْ
بِـتـــذلـّـُلِـــي لـلـــه ذلـَّـلـــت ... .. المنـــــى للعابـــــدينْ
الزائـــــرين الـــــذاكرين ... العـــــاكفين الطـــــائفينْ
أنـــا لســـتُ أزُعُـــمُ أنّنـــي ... وفـــيَّيتُ حـــق الوافـــدينْ
جُهْـــدُ المُقِـــل ومـــا علـــيَّ ... .. فمـــا أنـــا فـــي الموســـرينْ
الله يجبـــر عجـــز مثلـــي ... وهـــو خيـــر الجـــابرين

غـــيظ العُـــدى فـتألـَّـبوا ... وتـــدبروا نصـــبَ الكمـــينْ
والشـــرّ ُ أقـــدَرُ فـــي التـَّألـّـُـب ... .. إنـــــه داءٌ دفـــــين
قـــد أرجفـــوا فـَنـَـــداً* كثيـــراً ... .. ضـــل ســـعيُ المـــرجفينْ
وظفـــرتُ فـــي التمحـــيص* مـــا ... ظفـــروا* عُـــلايَ بمـــا يـــدينْ
فعـــــدا كبيـــــرُهُم علـــــيّ ... .. وإنـــــه « كـــبش ســـمينْ»
قـــــد نـــالـَـــهُ ويَـنـَالـُـــهُ ... ورفاقـــــه العـــــدلُ المبـــــينْ
نزعـــوا « الســـفارة » مـــن يـــدي ... فمضـــيت مرفـــوع الجبـــينْ
لـــم يرتفِـــع شـــأني بهـــا ... ورفعتهـــا فـــي الـــرافعينْ
وسَـــلـَـلـْتـُهُـــم مـــن خـــاطِري ... سَـــلَّ القـــذاةِ مـــن العجـــينْ
ولـَـــزِمْتُ خِـــدْري* فـــي إبـــاءٍ ... .. شـــيمة الطبـــع الـــرزينْ
ولقـــــد أضـــــيق بعُزلتـــــي ... والأســـدُ تـــبرَمُ بـــالعرينْ
ويَـــذودُ عـــن جَفـْـــني الكـــرى ... همـــــم وهـــــم ذو رنـــــينْ
هَـــمّ ُ الثمانيـــــة الصِّـــــغار ... .. وبعـــد تاســـعهم جنـــينْ
وهمـــومُ قـــومي فـــوق همِّـــي ... .. تمـــلأ القلـــب الحـــزينْ
هِمَـــمٌ تحـــرِّق مُهْجَتـــي .. ... الحيـــرى وتأخـــذ بـــالوتين*

ولقـــــد تـــرى أمِّـــي تـَقـَـلـّـُبَ ... .. جبهتـــي فـــي الســـاجدينْ
وتـُحِـــسّ ُ، رغـْـمَ تـَحفظِـــي ، ... بؤســـي بباصـــرة الفطـــينْ
فتقـــولُ أمّـــي: يـــا بُنَـــي ... .. أكتـــب إلـــى الخِـــلِّ الأمـــينْ
فـلـعـلـَّـــهُ، ولـَعَـلـَّـهـــا، ولـَعَـــلَّ ... .. كربـــــك أن يلـــــينْ
أمّ ٌ يـــــــدقّ ُ دعـاؤهـــــا ... بـــاب الســـماء علـــى يقـــينْ
نهضَـــتْ بعبئـــي مـــذ درجْـــتُ ... .. نهـــوض ذي شـــغف أمـــينْ
وتعهّـــدَتْ، وأبـــي، ســـجايا .. ... الخيـــر، والخـُـــلقَ المكـــينْ
بـــذلا ومـــا ضـــنَّا فكيـــفَ ... .. أكـــون فـــي الحمـــد الضـــنينْ
إنـــي إذا أنـْفـَقـْـــتُ عُمْـــري ... شـــاكراً لهمـــا مـــدين

يـــا أمَّـــتا، هـــل يســـتخِفّ ُ .. الحـــب مـــن رأي الرصـــين؟!
ويُسَـــوِّغُ الإشْـــفاق غـَـــضَّ .. الطـــرف عمـــا لا يـــزينْ؟!
أدَعَـــوْتِنِي، وهـــواي يكـــره .. فـــي العلـــى مـــا تكـــرهينْ
أدعـــوتِني للبـــذلِ مِـــنْ نفســـي! ونفســـي لا تلـــينْ
أنـــا لا أذكـــرُ بـــي صـــديقاً ..لـــيس لـــي فـــي الـــذاكرينْ
إن كـــان ذا جـــاهٍ فـــإنَّ .. الله ذو الجـــاه المبـــينْ
يـــا أمَّتـــا إنـــي مـــن الـــرحمن .. فـــي حصـــن حصـــينْ
علـَّمْـــتِنِي حِفـــظ الكرامـــة ؛ ســـوف أحفظهـــا كـــدِينْ
لـــن أبـــذِلَ الـــنفس الأبيَّـــة .. للقريـــب وللقـــرينْ
أللهُ حســـبي مـــن معـــينٍ .. إنـــه نِعـــم المعـــينْ

قضاء

جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

قضاء

أرنــو بعــين فــؤادي، والهــوى بصــر، إلــى مــدى، قاصــرٌ عــن أفقــه النظــرُ
أرنــو إلــى هــدف، تاهــت معالمــه بــين الأمــاني، وأقصــى دُرْبــهُ القــدرُ
أرنــو إلــى أمــل، العقــل ينكــره، والحــدس* يرقبــه، والغيــب يــدَّخِرُ
حيــران حيــران، يقظــان العلــى، أرِقٌ الليــل يشــهد، والآهــات، والســهرُ
توحــدي زفــرات فــي الســماء لهــا صــدى نشــيج* وعتــه الأنجــمُ الزُهــرُ
ســرى جــواه إلــى لألائهــا فبــدت كأنهــا فــي فــراش الصــبح تُحْتــَضَرُ

مــاذا وراءك يــا آفــاق مــن خبــر! سـلي الغيـوب أمـا لـي عنـدها خبـرُ؟
الـنفس فـي غـرقٍ، والـروح فـي قلـقٍ والقلـب فـي حُـرَقٍ، والـرأيُ يصـطبرُ
أرنــو إلــى فلــك فــوق الســماء ســما أجــواؤه مِلؤُهــا الإبهــام والخــَدَرُ
كــم اشــرأبتْ إلــى أغــواره فكــري تــُريد ســبرا* لهــا فارتــدَّتْ الفكــر
وكــم تطــاول عقلــي فــوق طاقتــه غوصـا علـى كنهـه، والكنـهُ مسـتترُ!
ينــأى ويهــرب مــا جنحــتُ أخيلِــَتي فــي إثــره، فيضــيع الأصــلُ والأثــرُ!

يــا باســط الــدهر ممتــداً إلــى أزل هـل تنقضـي غصصـي، أم ينقضـي الـدهرُ
وهــل لغربــة روحــي فــي الحيــاة هــوىً يحنــو ويؤنســني! أم طابــت الحُفــرُ؟
مــاذا نفيــد، وقــد جفــَّتْ حُشاشــتنا مــن الســنينَ، إذا أنــدى لنــا الــوطرُ
هــذا زمانــك يــا آمــال فــانطلقي وأشــرقي بحيــاة كلهــا غُــرَرُ
لــو أن لــي طاعــة فــي الأمــر نافــذةً لنلـتُ أقصـى المنـى والعمـرُ مزدهـرُ
لكننــي بقضــاء الله مــرتهَنٌ سـمعاً وطوعـا لأمـر الله يـا «عمـرُ»

يــا رب، أيــن يــدٌ تحبــو بهــا كرمــاً جزاء من في مُلـِمات الهوى صبروا
ظمــآنُ ظمــآن، والأكــوان مترعــة عـذبا فراتـا، وجـوفي ملـؤه شـرر
متــى أبُــلّ صــدى وجــدي، وا حربــا*، للمجـد والحـب، أيـن الشـمس والقمـرُ!

غيث في آب
جبل الأربعين: أريحا ١٣٧٩ ــ ١٩٥٩

غيث في آب

مـــا لأفقـــي يعـــدو قصـــيا ... والفضـاء السـحيق يطويـه طيـا
وكـــأن الغيـــوم ثـــارت غبـــارا ... حَجبتـــهْ فلـــم يعـــد مرئيـــا
من يرى ما أرى ! أنا اليوم وحدي ... بصـــرٌ يرمـــق الجبـــال مليـــا
وجمـال الأكـوان سـلوى ونجـوى ... لِمـــُعنى أسـاه مـــا زال حيـــا
الـــدنى رونـــق زهـــا وتهـــادى ... إذ ســقاه الخريـــف راح رويـــا
نـــَعِس الســـهل فـــارتمى وتمطـــى ... مُرْسِلاً في الشعاب طرفاً خفياً
وذُكـــاء المعطـــاء مالـــتْ عليـــه ... بشـــعاع ثـــَرّ وخـــرَّتْ جـــِثيا
قـــد حبتـــه ألـــوان طيـــف عِـــذابا ... فبـــدا فـــي شـــفوفه عبقريـــا
فاخضـرار يمتـد مـا امتـد طـَرفٌ ... يتـــراءى تموجـــا مُخمِليـــا
واســـمرار وشـــُقرة وضـــُروبٌ ... مـن ظـلال تغيـب شـيئاً فشـيئا
وشـفه الفِجـاج تلعـس فـي الغـيم ... .. وكـان احمرارُهـا «قِرمِزيـا»
وكـــأن الأشـــجار وهـــي فـــرادى ... بعـــضُ زواره ألـــَمَّ وحيَّـــا
وجماعاتهـــا علـــى جانبيـــه ... حانيـــاتٌ كـــَمن عقـــدن نـــديا
وخيـــال الغيـــوم أدكـــنُ يحبـــو ... مـــثقلا مصـــعدا يُخـــال كميَّـــا*
والسـماء الـولهى تمـوج غَمامـاً ... بينـــه زرقـــةٌ تـَشُـــدّ وتعيـــا

يـا حيـاتي مـا بـين صـبري وبثـي ... مـــا حيـــاتي والهـــم دوى دويـــا
السـماء الـرؤوم تصـغي لشـكوايَ ... وترعـــى قلبـــي الشـــقيَّ الشـــجيا
أرسـلت مـن عيونهـا الـزرقِ دمعـاً ... فكـــأني بهـــا تنـــوح عليـــا
سمِعتْـــني أشـــدو غريبـــاً كئيبـــاً ... فحَبـَتْـــني حنانهـــا العلويـــا
ورأتنـــي حيـــران أرنـــو وأرنـــو ... دون قصـــد بـــادٍ فمالـــتْ إليـــا
وجـــدتني أحيـــا وحيـــدا فنـــادتْ ... يـا ابـن جوي إلـيَّ نخلص نجيَّـا*
فاســـتجابتْ ســـجيتي وتســـامت ... فـــي انطـــلاق الثـــرى والثريـــا
حيـث مـدَّتْ نحـوي شـعاعاً مـن.. ... الشمسِ فصرنا إلى السماء سويَّا

بسـطتْ لـي يـداً وشـدَّتْ بـأخرى ... وإذا قـــوة الـــورى فـــي يديَّـــا
وسـقتني كأسـاً مـن السـحر فيـهِ ... الشـعر والمجـد والهُيـام، شـهيا
فكـــأن الســـنا تجلـــى لقلبـــي ... وكـــأنَّ الإبهـــام عـــاد جليـــا
وكـــأن البقـــاء حـــف بـــذاتي ... فتربَّعْـــتُ كائنـــاً أزَليَّـــا
وكسَتـــْني مـــن نشـــوة الحلـــم بُـــردا ... من نـُثار الأفلاك حِيكَ، وشِيَّـا*
ثـم قالـت هـذي جنانُـك فاسـرح ... فـــي مـــداها وظلهـــا وتـَفِيَّـــا
فـــاحتواني جـــو أشـــاع بكنهـــي ... خـــدراً، يســـتثير قلبـــي، نديَّـــا
وتلبثـــتُ حـــائر الطـــرف حينـــا ... شـــاردا ذاهـــل الكيـــان عَيِيَّـــا

وإذا بالجمـــال مـــن كـــل صـــوبٍ ... يتهـــادى حـــولي ويهتـــف هيَّـــا
فتَنَبَّهـــــْتُ مطمئنـــــا هنيـــــاً ... وكـــأن الجنـــان عـــاد فتيـــا
وتنقلـــتُ فـــي المراتـــع طَـلْـــقاً ... وفـــؤادي يفتـــر بالحـــبِّ حيـــا
وعقـــدتُ الـــوداد بينـــي وبـــين.. ... النـــور، فـــي نبعـــه سـخياً سـنيا
وتآلفـــــتُ والعـــــوالم حتـــــى ... خلتـُـــني كـــُنتُ خِـدنها* الأزليـا
فتشـــــاكيتُ والغيـــــوم همـــــومي ... وتســـاقيتُ والنجـــوم الحُمَيَّـــا*
ونـَثـَـثـَتُ* الهوى الذي في ضلوعي ... فرأيـــتُ الأفـــلاك تحنـــو عليـــا
وتماديـــتُ فـــي الشـــكاة فهـــاج.. ... الحُـزْنُ مـن أدمعـي أبيـا عصـيا
وإذا بالـــــدجى يميـــــل ابتئاســـــاً ... وإذا بالســـــديم* يرنـــــو مليـــــا
وإذا الـــدر بعـــد أن كـــان يزهـــو ... ناضِـرَ الوجـه مشـرقاً عسجدِيَّـا
جـــذب الغـــيم فـــوق عينيـــه.. ... والأنجم من حولـه، وراحتْ بَكِيَّـا
والمناحـــات فـــي السـماوات قامـت ... لِجـوى شـاعر علـى الهـم يحيـا
فتململـــتُ نادمـــاً دون جـــدوى ... إن دمعـــي العصـــيَّ هـــاج أتِيَّـــا*
وتعثـــرتُ فارتميـــتُ إلـــى الأرضِ ... .. ومـــاءُ السـماء يجـري سـخيا

وتـــاكى الأنـــام عـــن عاصـــف الجـــوِّ ... وغَيـــثٍ فـــي آب قـــدْ فـــاض ريَّـــا
مـــا دروا عـــن خبيئـــة الســـر شـــيئاً ... إن أمـــر الســـماء كـــان بدِيَّـــا*
هـو عطـف الأفـلاك والمـلإ الأعلـى ... .. علـــى مـــدنفٍ يعـــيش قصـــيا
هـو قلبـي قـد ضـاق بالكبـتِ ذرعـا ... ولكـم كـان فـي الهـوى أريحيـا
هـــي روحـــي ذابـــت وســـالت غيوثـــا ... هـي نفسـي فاضـت فسـقياً ورعيـا

كـم سـكبتُ الأشـواق لحنـاً شـجياً ... ودمـوع الحرمـان عطـراً شـذيا
صـــغتُ للحـــب والجمـــال، بشـــعري ... وشـــُعوري، حبـــاتِ قلبـــي حليـــا
ولففـــتُ الجـــوى ببســـمة صـــبرٍ ... وكتمـــتُ الهـوى وعِشـــتُ أبِـــيا!

هاتف
حلب: ١٣٧٩-١٩٥٩

كتبت رقم هاتفه
بميل مكحلتها.. ثم كان
بينهما حديث:

هاتف

«القـــرض» وصـــوتي فـــي تهدجـــه ... يكـــاد فـــي الأذن يُلقـــي وجـــده نـــارا
وقـــد رأيتـــك رغـــم البـــون مقبلـــة ... والصـــب أنفـــذ خلـــق الله أنظـــارا
أحسســت مــن صــدرك الظمــآن وقدتــه ... كأنمـــا جمـــره فـــي أضـــلعي ثـــارا
وحـار قـولي، وكـم فـي الـنفس مـن فكـر ... حـارت،وكم مـن هـوى فـي القلـب قـد
حـــــــــــــــــــــــــــــــــــــارا

كتبــتْ بــالمرْوَد الغــالي الــذي لَــثِمَت ... شــفاهه، عَيْنَــكِ الخضــراء تكــرار
وعـلَّ مـن راحهـا رشـفاً، وغلغـل فـي.. ... الشـفاه رأس لسـان فـي اللمـى* دارا
المـــرود المســـتمد العِطـــر أنملـــه ... مـن عطـرك اللـذ حتـى صـار مِعطـارا
المـرود «النـاثر» الكحـل الـدقيق علـى ... جفنيـكِ سـحرا وإغـراءً وأشـعارا
كتَـــبتِ، والثغـــر مـــزدانٌ ببســـمته، ... والقلـب يزفـر فـي الأضـلاع قيثـارا
كتبـتِ مـن هـاتفي أرقامـه فسـرى ... بـين الهواتـف، خفـق القلـب تيـارا

يـا أختَ همـي وحرمـاني ومـوهبتي ... مـاذا أبثـكِ؟ أجَّ القلـب أسـرارا
هـل أنقـض المبـدأ المكنـونَ فـي خلـدي ... فـي الـروح والعقـل إيمانـا وإكبـارا!
هـل ألبِـس العُمـر نكـراً بعـد عفتـه ... وأعْقِـبَ الصـبر آثامـاً وأوزارا!
أم أمسـك الـداء، قـد جالـت قواصـمه ... حمـى بجسـمي، أوصـالا وأغـوارا؟!

أحيـا علـى ظمـأ والكـأس مترعـةٌ ... تـدعو فمـي، ودمـي المكبـوت قـد فـارا
بركـان قلبـي عـزَّ الصـبر يمسـكه ... يكـاد يقـذف بـي فـي الكـون إعصـارا*
يـا أختَ همـي وحرمـاني ومشـكلتي ... أشـكو إليـك، كمـا تشـكين، أقـدارا
بـين الهـدى والهـوى ذابـتْ حُشاشـتنا ... قتلاهمـا نحـن، ممـن نطلـبُ الثـارا؟!

غفوة صاحية

جبل الأربعين: اريحا ١٣٧٩- ١٩٥٩

غفوة صاحية

سأسمو على زيف هذي الحياة ... إلى معرجِ العزلة النائيهْ
وأهجر ضوضاء لا تنتهي ... تُثيرُ وتحرقُ أعصابيَهْ
إلى مبهمات الظلام العميق ... إلى حيرة الليلة الساجيه
إلى منبع الصفو خلف السماء ... إلى مرتع الأمن والعافيهْ
أزيد فتوري، وأطفي لظى ... شعوري، وأكبتُ أشعاريهْ
أبلدُ حسي، أجمد نفسي ... أغيضُ*، وأكتم أنفاسيهْ
وأغدو سكوناً بعيد المدى ... يُشِيع طمأنينة راضيهْ
ويُضفي على الكون معنى الحياة ... ونائماً، ومرحمة ناميهْ
وإذ ذاك، بعد الهدى والهدوء ... وغَوْصِي على «لانهاياتيهْ»
سأرجع كالفجر، بعد الفَنَاء.. ... المولّد، والغفوة الصاحيهْ
سأرجع خَلقاً فتياً سوياً ... وقد «هَنْدَسَتْ*» عزلتي ذاتيهْ
نَضَتْ* عن كياني غبارَ الزُيوفِ ... وجَلَّتْ حقيقتي العاريهْ
وألَّقتِ الجوهرَ المُسْتَكِنَّ* ... بكنهي، يُضَوِّئُ أغواريهْ
ويُطلِقني قدرةً في الوجودِ ... تؤدي رسالة إيمانيه
رسالةَ جمعِ الكيانِ الشَّتيتِ* ... رسالة بعثِ المنى الغاليهْ
رسالةَ مجدٍ إلى الله يرقى ... تُحَققه أمة هاديهْ
جهادٌ على الدهر يُملي الخلود ... ويَصْمُدُ في الزعزع العاتيهْ
وللحُرِّ في روحه نفحةٌ ... من الله، من روحه الباقيهْ

مارد

جبل الأربعين: اريحا ١٣٨٠ ــ ١٩٦٠

مارد

يـــا غـــدي هـــل مـــن جديـــد ... لـــيس فـــي يـــومي وأمســـي
كـــل فجـــر مشـــرق، يـــودي ... .. بـــه مغـــرب شـــمسِ
والليـــــالي تتـــــواري ... والـــدنى لـــبسٌ بلـــبسِ*
عمـــرٌ أيامـــه تنحـــتّ* ... .. مـــن همـــي وبؤســـي
كرمـــادٍ يغـــبشُ الجـــذوة ... .. مـــن عزمـــي وبأســـي
كـــل يـــوم ضـــربةٌ مـــن ... مِعْـــوَلٍ، تحفِـــرُ رمســـي!

المنـــى ترقـــبُ ســـعيي ... وأنـــا فـــي غـــور حـــبسِ
لهـــف نفســـي ذهبـــت.. ... فحـوايَ* هـدراً لهـف نفسـي
لـــيس يأســـاً بـــل هـــو.. ... الهـم الـذي يهـزمُ نفسـي
فـــي دمـــائي كبريـــاءٌ ... نغَّـصتْ فـي العـيش أنْـسي
وهـــوىً يصـــبحُ فـــي المجـــد ... .. وفـــي الرونـــق يمســـي
وإبـــاءٌ مرهِـــقٌ نزَّهنـــي ... .. عـــن كـــل رجـــسِ
إنهـــا أغـــلالُ نفســـي ... وســـجاياَيَ وحِســـي
شِـــيَمٌ كالمـــاردِ الجبـــارِ ... .. فـــي قمقـــم رأســـي
ربـــط الله علـــى روحـــي* ... ..فأجَّـــتْ دونَ نـــبسِ
ولقـــد أبْرَمـــوا فـــي أســـري ... .. فيســـتعلنُ همســـي
يبـــرمُ البـــدرُ إذا ساقَـتْـــهُ ... .. أقـــدارٌ لِوَكـــسِ*
بيـــدَ أنـــي دائـــبٌ كالـــدهرِ ... فـــي ســـعد ونحـــسِ
غمـــراتُ البـــؤسِ أرضـــى ... لـــي مـــن نعمـــة نِكـــسِ*
والـــردى أشـــهى إلـــى نفســـي ... مـــن العـــيش الأخـــسِ
وســـلاف الحـــب راحـــي ... وشـــغاف القلـــب كأســـي
والســـماوات مَراحـــي ... ولقـــاء الله عرســـي

في البكور
جبل الأربعين: اريحا ١٣٨٠-١٩٦٠

في البكور

قـــم حـــيِّ إبـــداعَ الإلـــه .. وقـــد تجلـــى فـــي البُكـــور
وكـــأن مـــا فـــي الليـــل مـــن نجـــم وصـــهباءٍ وحـــورْ
وهـــوىً تزينـــه الزهـــور وتنتشـــي فيـــه العطـــورْ
صُهِـــرتْ ببوتقـــة الســـماء وبُرِّئـــتْ مـــن كـــل زورْ
فتنفســـتْ أرواحهـــا عـــن نفحـــةٍ فيهـــا النشـــورْ
وافتـــر ثغـــر الصـــبح جـــذلان .. المنـــى، جَـــمَّ الســـرور
فمضـــى يـــذر علـــى الربـــى مـــن ذوبـــِها أمشـــاجُ* نـــورْ
الـــبعض ســـال علـــى الـــذرى والـــبعض مؤتلـــقٌ يســـورْ
وشـــعاعه الوثـــاب يجتـــاز .. الفضـــاء إلـــى القصـــورْ
ومـــن النوافـــذ يرســـل النظـــرات .. فـــي ثُـــغـــَر الســـتورْ
وتحثـــه نـــزوات جرأتـــه .. فيقـــتحم الخُـــدورْ
ويكـــون ثـــَمَّ تعـــانقٌ بـــين الأشـــعة والبـــدور
فمـــن الأشـــعة مـــا يلـــوبُ* .. صـــبابة فـــوق الثغـــورْ
ومـــن الأشـــعة مـــا يظـــل .. يَشـــَمّ ُ مـــن أرْجِ النحـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يطِـــل .. علـــى النهـــود مـــن الصـــدور
ومـــن الأشـــعة مـــا يـــذوب .. تولهـــا عبـــر الخُصـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يدغـــدغ .. دفـــؤه دفءَ الحجـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يثيـــرُ وفـــي الطبـــائع مـــا يثـــور
ومـــن الأشـــعة مـــا يـــدور مـــع المنـــى أنـــى تـــدور

ســـبحان مـــن مـــنح البكـــورِ .. مفـــاتن الســـحر الطهـــور
وحبـــا أشـــعتها قـــوىً تهـــبُ المضـــاء ولا تحـــورْ*
وأدار مـــا بـــين الـــدجى والفجـــر دولاب الـــدهور
يجـــري علـــى حـــدو الحيـــاة .. وشـــدوِ أســـراب الطيـــور
ســـبحان مـــن أمضـــى علـــى إيقاعـــه خطـــو العصـــورْ

شبح الخريف
جبل الأربعين: أريحا ١٣٨٠-١٩٦٠

شبح الخريف

تلامح الخريف...
لغيومه في الآفاق تشكلات رائعة الجمال...
على الأشجار حمرة مصفرة، ودفء يثير في النفوس شعوراً مبهماً، كأنه حزن الوداع...
كانت حقول القطن، في السهل المنساب بعيداً من «جبل الأربعين» تتفتح عن ثمرها الناصع، كأنه نجوم تتلألأ، في ليلة ساجية... لقد كان يلمع في البون البنفسجي، تحت أشعة الشمس المسددة إليه من فجوات الغيوم...
وكنا نستعد للرحيل إلى «حلب» حيث تنتظرنا شؤون الحياة وشجونها...

شبح الخريف

شبح الخريف أطل عن كثب ... والشمس لاحتْ من كوى السحبِ
حيرى وقد فترتْ حرارتُها ... ترنو إلى بحر الدنى اللَّجِبِ
وعلى أشعتها التي عبرتْ ... ثُغَرَ* الغيوم، أمائرُ التعبِ
مدَّتْ لها الأشجار أيديها ... فترنحتْ كالمُدْنَفِ الطَّرِبِ
وعلى الغصون رمت غلائلها ... وعقيقها المُخَضَّلِ بالذهبِ
والسهل مغرور المُنى طمِحَتْ ... أحلامه الظمأى إلى الشهبِ
للقطنِ ألْقٌ في مزارعه ... فكأنما يفتر عن حببِ*
والمُخْمَلُ المنقوش، قد نُشِرَتْ ... طياتُهُ، عرضاً بلا طلبِ
وتبوَّأت أنحاء ساحته ... وتمددتْ فيها على رُتَبِ
ألوانه شتى، وأخضرُها ... في زهوه، متفاوتُ النِّسبِ
سهل من الفردوس مُختلسٌ ... تحنو عليه مدارجُ الرَّتَبِ*
كِسَفُ* الغمام علتْ مسارحه ... تحبو مُشَعَّثَةً* على الرُكبِ
وظلالها الغبراء راسمةٌ ... بقعاً على أثوابه القُشُبِ
قد لاح منها وجه بسطته ... ما بينَ مبتسِمٍ ومكتئبِ
وذكاء في كبد الغيوم لها ... مد وجزرٌ دونما صخبِ
وعلى السماء مصوراتُ دنىً ... سحرية مجهولةِ النسبِ
وعوالمٌ كالحلم شاردة ... أخبارها لم تُرْوَ في الكتبِ
سفنٌ وراء البونِ* مُشرعةٌ ... وعجائزٌ عكفتْ على حدبِ*
ووحوش غابٍ ثار ثائرها ... فتواثبتْ في وقدة الغضبِ
وولائدٌ في الجو قد سرحتْ ... وتضاربت في سَورة اللعبِ
والشمس ترسلُ من أشعتها ... شَعراً لها قد صيغ من قصبِ
صُوَرٌ منورة الجمال زهتْ ... ما بين منطَلقٍ ومنقَلَبِ
سُحُبٌ يراكضها وينفخها ... عبث الرياح لغير ما سببِ

فتظـــل تفتـــلُ* فـــي مُـــداورة ... حِينـــاً وتهـــرب دونمـــا رَهَـــبِ
بتعثـــــراتٍ* لا انتهـــــاء لهـــــا ... تُـــعْيي يـــراعَ مُصَـــوِّرٍ دَربِ

والأفـــق حيـــران المـــدى ثملـــتْ ... فـــي ناظريـــه مشـــاهد الحُقـــبِ
وتمطـــــتْ الآمـــــال غافيـــــةً ... فـــي ساعديه علـــى رؤى النَشَـــبِ
وكأنمـــــا أعتابـــــه افترشـــــتْ ... قـــُنن الجبـــال ورغـــوة الســـحبِ

أمـــــا أنـــــا فلزمـــــتُ زاويتـــــي ... مـــن غيـــر مـــا رغـــبٍ ولا رهـــبِ
مُتناســـياً يـــأس الهـــوى ولظـــى ... همـــي، ومشـــكلتي تطـــوِّفُ بـــي
فـــي هـــدةٍ، والكـــون منبســـطُ ... حـــولي، يُلَـــطـّفُ دِفـــْؤه نصـــبي
وعلـــى المـــدى النـــائي منـــازلُ قـــد ... لاحـــتْ كأكـــداسٍ مـــن العلـــبِ
وتصـــاغرتْ فـــي العـــينِ إذا بعُـــدتْ ... فبـــدتْ كأشـــتاتٍ مـــن اللـُـــعَبِ
وأخـــذتُ، والأهـــدابُ مرســـلةٌ، ... أرنـــو إلـــى الأغصـــان والشـــذبِ*
والـــــريح تـــــدفعها وتجـــــذبها ... فعـــلَ الغـــلامِ النـــاقمِ الشَّـــغِبِ
فيطيـــــر مـــــن أوراقهـــــا نثـــــرٌ* ... ويـــدور فـــوق التـــُربِ فـــي لغـــبِ
وأمـــــد طرْفـــــي دونمـــــا هـــــدفٍ ... حينـــاً إلـــى الأوداء* والكثـــبِ*
تزهـــو معالمهـــا وتغمـــض فـــي ... وهمـــي، ولـــم تظهـــر ولـــم تَـــغِبِ
وكأنمـــــا ألوانهـــــا اختلجـــــتْ ... فـــي العين مـــن صـــهبٍ إلـــى شـــهبِ
والكرمـــة الســـمراء ترجـــف مـــن ... نقـــر الهَـــزارِ بقيـــة العنـــبِ
والعصـــف حـــفَّ لحيـــة نســـلتْ* ... كالســـهم فزعـــى دونمـــا حَـــرَبِ*
والهـــــرة الشـــــقراء تنطحنـــــي ... وتمـــد أيـــديها علـــى رُكـــبِ
كســـلى تشـــم أنـــاملي ملقـــاً ... وتمـــوء فـــي رفـــقٍ وفـــي أدبِ
وتعضـــــها هونـــــا وتلعقهـــــا ... ولســـانها كالمخمـــلِ الزغِـــبِ
وتعـــوق خطـــوي فـــي تـــدللها ... وتسـير إمـا سـرتُ فـي طلبـي
فـــإذا جلســـتُ جثـــتْ علـــى قـــدمي ... والـــرأس معكـــوف علـــى الـــذنبِ

وســـــكنتُ والأفكـــــار هائمـــــة ... وغفوتُ عن طمئي وعن سغبي*
وكـــــأن فـــــي عينـــــي أخيلـــــة ... سـكرى الظـلال لمعهـدٍ خـَربِ
والـــنفس شـــاردة الهـــوى ذهلـــت ... عـــن ذاتهـــا فـــي حلـــم مُغْتـــَربِ
يبنـــي علـــى الآمـــال نشوَتـَـــه ... وكأنهـــا خلـــوٌ مـــن الوصـــبِ*
تحيـــا دقـــائق وهـــي مغفلـــةٌ ... أعباءهـــا كمُجَنـــَّحٍ عَـــزَبِ
ودُهِشـــتْ مـــن نفســـي وهـــدأتِها ... ووُدِدْتُ لـــو جُمِّـــدتُ فـــي أهبـــي*
الـــدهر عـــودني علـــى صـــخب ... فـــإذا تهـــدَّأ كـــان مـــن عَجَـــبِ
خلـــس كـــومض البـــرق خاطفـــة ... ونـــؤوبُ للضوضـــاء والسـخبِ*
يـــا ســـاعة عبـــرت بـــلا نكـــد ... مهـلاً، ومـا للرحْـلِ والقـَتـَـبِ
مـــاذا تعجُلـــُنا إلـــى «حلـــب» ... ومنصـــغات العـــيش «حلـــب»
كـم رمـتُ منهـا لـو رجعـتُ سـدىً ... أو أننـي فـي «الأربعـين» صَبـي

أو أنني في المجد ما علقتْ ... نفسي وفي الإقدام والغَلَبِ
أو أن قلبي، والهوى دمه ... لم يَكْوه الحرمانُ باللهبِ
أو أنني لا عبء يرهقني ... أحيا خدينَ الفن الأدبِ
لكنها الأقدار قد قذفتْ ... بي في دنى حمالة الحطبِ
فمضيتُ في دربي على جَلَدٍ ... وحملتُ عبئي حملَ ذي دأبِ
وأنا أبٌ في أضلعي مُزَعٌ* ... تسع من الأطفال تهتف بي
هل في حنانِ الناس منزلةٌ ... أهدى وأرفعُ من حنانِ أبِ
وإذا الإباء مضى بذي شممٍ ... لم يخشَ حملَ الهمِّ والتعبِ
ومُرُوءة الإنسان تقحمه ... في الهول واللأواء* والكُرَبِ
والحُر لا يجفو مروءَتَه ... ومروءة الأحرار في نسبي

شبح الخريف أطل من كثبٍ ... هل في الخريف طلائع العطبِ
أم إنه سيطل بعد غدِ ... ألْقُ الربيع كصفقة الطربِ
وَدَّعْتُ أيام الشباب وقد ... ولتْ، بدمع غير منسكبِ
وكهولتي تمضي على أملٍ ... في الغيبِ أحداث لمُرْتَقَبِ!
لم تجنِ عمري بهجةً وهوىً ... والله أعلمُ كيف منقلبِ
لو أن دهري مُسْعِفٌ لبنى ... ركني لديه على ذرى الشهبِ
الهولُ في دربي وفي هدفي ... وأظل أمضي غير مضطربِ
ما كنتُ من نفسي على خَوَرٍ ... أو كنتُ من ربيَ على ريَبِ
ما في المنايا ما أحاذرُهُ ... الله ملء القصد والأربِ

ضمير

حلب: ١٣٨٠-١٩٦١

ضمير

يـا ضـميري كـم ذا تـُنَغـِّص أنسـي ... عمــرَكَ الله، لــو رأفــتَ بنفســي
فحيــاتي العنــوت* عــبءٌ رزاحٌ* ... وهمــومي رحــىً تــدورُ برأســي
والمــــروءات حــــافزٌ مســــتبدٌ ... وليــالي الخــواء* تــوهنُ بأســي
فــإذا مــا لمحــتُ بــارقَ لهــوٍ ... فــي حواشــي الحيـاة يـزحمُ بؤسـي
واشــرأبَّ الصــبا المكبــل بالأعبــاء ... .. يرنــو إلــى علالــة* كــأسِ
وســرت فــي اللهــاةِ نشــوةُ ري ... مُتَمَنـَّى لمـا تـزل رهـن حـبسِ
دبَّ منــك التأنيــبُ فِــيَّ دبيبــا ... يـا ضـميري، ورُحـتَ تجتـزّ ُ أنسـي

يـا ضـميري غـداً كيـاني رُكامـاً ... مـن جراحـي، فـي كـل يـوم وأمـسِ
كـل يـوم يمضـي مـن العمـر يهـوي ... كشـهيدٍ فـي حـرب أقـدسِ قـدسِ
فــي جهــادي، لفتيتــي وبــلادي ... ومُــرادي، وفــي جهــاديَ نفســي
ومــرادي! تحــارُ فــي الأمــاني ... والمعــاني بــين اتضــاحٍ ولــبسِ
تتهــادى رؤاه يقظــى ووســني ... بـين عـزم مـاضٍ، وريـث، ويـأس

يـا ضـميري، هـلا حللـتَ وَثـاقي؟ ... كــاد هــذا الوثــاق يخمــد حســي!
التقـى؛ مـا التقـى وفـي الجسـمِ نـارٌ ... تمضـغ القلـبَ بـين نـاب وضـرس!
كلمــا حامــتْ الخِلابــة* حــولي ... هَـمَّ سـهمي، وارتـجَّ للنَـزعِ* قوسـي
ويــروح الإغــواء عنــي ويغــدو ... وأنــا مُصــبح التطلــع ممــسِ
يـرقص النهـد فـي عيـوني، وتغلـي ... في شفاهي الظمأى، ارتعاشة لعسِ
ودمــاء الشــباب بركــان تَــوقٍ ... فجَّرتــه فــي الجسـم نـزوة جـنسِ
الجنــى مشــرفٌ علــيَّ شــهيٌ ... حســبه للقطــاف أرهــفُ جَــسِّ
كــم دعــاني إليــهِ شــوقٌ مُلِــحٌ ... يهمـسُ الوصـلُ فيـه أعـذب همـس
ودعــاه إلــى حُسْــنٌ مطيــعٌ ... ونزوعٍ في الطبع، من غير نمسِ
بيــدَ أن الضــمير ثــَمَّ رقيــبٌ ... كلمــا رُمْــتُ لمســةً شَــلَّ لمسـي
كـم هـوتْ زهـرةُ الهـوى وترامـتْ ... عنــد أحكامــه بضــربة فــأسِ

يـا ضـميري؛ أقصـر، فمـا هَـمَّ عزمـي ... بِتَــرَدٍّ ، أوهــام قصــدي بــرجس
فـي نجـاري* علـى الخنـا* كبريـاءٌ ... وجــِماحٌ* علــى الســلوك الأخــس
غيــر أنــي إذا تصــدعَ صــبري ... ودجـى الهـم فـي صـحائف طرسـي
واعترانــي مــن الشــجون كــلالٌ ... فضــوى مِشــعلي، وأبهــم حدســي
وتعالــتْ للبشــر حــولي لُحــونٌ ... فكــأن الحيــاة مجمــع عــرسِ
ربمــا ضِــقتُ بالتوحــدِ ذرعــاً ... وتمنــتْ مبــاهج الأنــس نفســي

يـا ضـميري لقـد حكمـتَ فأسـجحْ* يـا لبـؤس الحيـاة فـي شـدق رمـسِ
عبـــث الحُـــرِّ لا يكـــونُ ذريَّـــاً لمـــمٌ* لا يصـــيبُ عزمـــاً ببـــأسِ
هـــل علـــى النيِّـــر المُجلـــي جُنـــاحٌ إن خبـــا فتـــرةً بعـــارض وَكـــسْ
عمـري فـي الهـوى سـويعة أنْـسٍ فـي الغـد المشـرئِبِّ تغـربُ شمسـي

أتأســـى حينـــاً، وأجمـــح حينـــاً لـيس يشـفي الأوامَ* هـالُ* التأسـي
فـي فـؤادي للصـبر غـرسٌ جَنِـيٌّ يـا إلهـي، فاكـْلأ جنـايَ وغرسـي
وحيـــاتي هواتـــفٌ وجُـــروسٌ* وهُتـافُ الضـمير أنبـل جـرْسِ*

حرم الحب
حلب: ١٣٨٠-١٩٦١

صرم الحب

لـي حبيـبٌ لـم يغـبْ عـن خَلَـدي ... وهـوى نفسـي ولا طرفـة عـينْ
لـَزمَتْ صـورته منطـَلَـقَ البصـر ... .. الخـافقِ بـين النظـرتينْ
كـل شـيء شـمِلتهُ نظرتـي ... ضـمَّ مـن طيـفِ حبيبـي صـورتين
هـو مـن قبـلُ ومـن بعـدُ لـه ... صـورةٌ ماثلـة فـي الجـانبينْ
فأنـا أبصـرُ قصـدي مـرةً ... وأرى طيـفَ حبيبـي مـرَّتينْ
عَلِقـتْ منـه بعينـي بسـمةٌ ... أفعمـتْ عمـريَ مـن سـعدٍ وزيْـنْ
وحَبَـتْ سـاحة رؤيـاي سـناً ... وشـفاهُ الكـون ثغـراً مـن لـُجَينْ

يـا حبيبـاً لـم يـزل مـن جرسـهِ ... مـلء أجـوائي، صـدىً للنغمتـينْ:
نغمـة الهمـسِ بآهـاتِ الهـوى ... ونجـاوى الصـمتِ بـين الخـافقينْ
ويزيـدُ الصـمتَ معنـىً بيننـا ... نفـسٌ دورتـه مـن دورتـينْ
نَفـَسٌ ملتهـبٌ كـُوِّنَ مـن ... ذوبِ نفسـينا ومـزجِ النفسـينْ
نفـسٌ نيرانـه قـد تركـتْ ... أثـَراً فـي وجهها فـي الـوجنتينْ
كـم لنـا، فـي رمضـانٍ خلـوةٍ ... ثمَـلَ القلـبُ بهـا مـن غيـر شـَينْ
ولـُبُاناتٍ قضـينا بعضـها ... وتركنـا بعضـها مـا بـينَ بـينْ

وخيـالاتُ رؤى يقظتنـا ... أطلـَقـَتنا لهوانـا هـائمينْ
شـرد الحلـمُ بنـا عـن ذاتنـا ... واستوى في حِسِّنا صدقٌ ومَـيْنْ*
المنـى تشـدو لنـا ألحاننـا ... وعيـون الحـبِّ تـروي قصـتينْ
فـي بيـانٍ صـامتٍ ألفاظـه ... لهثـاتٌ واشـتباكات يـدينْ
وحنايـا رَنـَّمَتْ أنغامهـا ... زفـرتين هامتـا فـي زفـرتينْ
زفـرةٌ فـي زفـرةٍ ممـدودة ... تتراخـى فـي طوايـا الأذنـينْ
قـد سـرتْ كـالخمر فـي نشـوتها ... تتمطـى راحهـا فـي السـاعدين
وأثـارتْ نـزوَةً فـي غورنـا ... وكـذا كنـهُ الـورى: تقـوي ورَيْـنْ*
فرنـا ثغـرٌ إلـى ثغـر جـوىً ... مُـذكِياً فـي كـل ثغـرٍ جمـرتينْ
وارتمـى خـدٌ علـى جـيدٍ صـدىً ... مُـلْهـِباً فـي كـلِّ صـدرٍ جـذوتينْ
الهـوى أفطـرَ فـي أعماقنـا ... ولبثنـا رغـم هـذا صـائِمَيْنْ

يـا حبيبـي كـم لنـا مـن منهـلٍ ... خـَصِرٍ* ينسـابُ بـينَ الجَنـَّتينْ
وعيـوني مـن نميـرٍ* كـوثرٍ ... ثـرَّةٍ* تضـحكُ مـن مُلتـَهـِبينْ

الهـــوى يلهـــثُ فـــي غوريهمـــا ... مـــاردٌ مُحْتـــَجَزٌ فـــي قمقمـــينْ
يوصـــل النفثـــة* جمـــراً واقـــداً ... وشـــرارٌ هُـــجَّ* مـــن حَنْـــجَرَتينْ
لـــم تســـيغا، فـــي عنـــادٍ مـــؤمن ... أن تُبَلَّـــى غـُـــلةً فـــي رشـــفتينْ
لاب فـــي توقهمـــا كبـــت الصـــبا ... فهـــوى ينهـــلُ راحَ المقلتـــينْ
يـــا حبيبـــي كـــم تلاقـــت فـــي الـــرؤى ... نـَظْـــرَتانا، شـــَغَفاً، عينـــاً بعـــينْ
وتجاذبنـــــا أحاديـــــث الجـــــوى ... وتباثثنـــــا شـــــكاوى طـــــامِئينْ
همســـاتٌ مثـــلُ أصـــداء الشـــجا* ... تتســـارى فـــي نجـــاوى عاشـــقيْنْ
ولقـــد قلـــتَ وفـــي نهـــديكِ مـــن ... نظراتـــي رعشـــة كالومضـــتينْ:
إن فـــي عينيـــكَ ســـراً عجبـــاً ... يُـــذهِبُ العـــيَّ فيـــوري النشـــوتينْ
قلـــتُ: لا بـــل ذاك مـــن خمـــر الصـــبا ... والمنـــى رنـَّـــحنا تـــرنيحتينْ
فقرعنـــا الســـنَّ بالســـنِّ هـــوىً ... وذكرنـــا الله عنـــد القبلتـــينْ
وتهـــاوتْ ولهـــاً يَقْظـَتـُنَـــا ... وتلقانـــا الكـــرى فـــي لحظتـــينْ
غامـــتْ الأعصـــاب فـــي غفوتنـــا ... وســـهتْ قافيـــةٌ عـــن مُنْـــشِدينْ
هَـــوَّمَ* الشـــِّعْرُ علـــى أفواهنـــا ... شـــفتينِ ذابتـــا فـــي شـــفتينْ
وعيـــونٍ أســـعدتْ أحلامهـــا ... لـــذةٌ مـــلءُ الـــدنى فـــي غمضـــتينْ
وتغيبْنـــا عـــن الكـــون معـــاً ... غيبـــةً منســـوجةً مـــن غيبتـــين
غَيْبَـــةً قـــد عَلـَّمَتْنـَـــا أننـــا ... فـــي الهـــوى روحٌ سرتْ فـــي بـــدنينْ

حَـــرَمُ الحُـــبِّ الـــذي يجمعنـــا ... لـــم نـــزلْ لـــول حِمـــاهُ حـــائمينْ
لـــم نقـــعْ فيـــه وصنـَّـــا ذِممـــاً ... وســـنبقى طـــائفينِ عـــاكفينْ
ولقـــدْ نغفـــلُ عـــن بعـــضِ التقـــى ... ثـــُمَّ نـــأوي للهـــدى مســـتفغِرَيْنْ
الشـــبابُ الغـــضّ فـــي جمحتـــهِ* ... كـــم عصـــرنا عـــوده بـــالراحتينْ
كـــم أدَنـــَّا الـــدهرَ صـــبراً فـــي النـــوى ... وجرعنـــا غـُـــصصاً فـــي عُمُـــرَيْنْ
هـــذه الغفلـــة عـــن بعـــض التقـــى ... لصِـــبانا والهـــوى إيفـــاء دَيْـــنْ

أمي

جبل الأربعين – أريحا: ١٣٨٢-١٩٦٢

العاطفة بيننا، كانتْ تتجاوز البر والحب؛ فقد كانت مودة في الأعماق الإنسانية، وضرباً من عشق المثل الأعلى في الصبر والإيثار.

... وكُنتُ في «الجبل» أتركب قدومها ولكن هاتفاً قال:

إنها مريضة!

فأسرعتُ فوراً إلى «حلب» لأراها شبخا ممدداً مصفراً، تستقر البسمة على شفتيه، وقد غادرته الروح، تاركةً إشراقها عليه!.

الا رحمها الله، وأحسنَ جزائها، أمي،... نفسٌ مطمئنة رجعتْ إلى ربها، راضيةً مرضية...

أمي

أخي، لا تقل رفقاً، فهل يجد الرفقا ... فتى شقَّ هولُ الخطبِ مُهْجَتَه شقَّا

ولا تجذبِ الصدر الذي فوقها حنا ... ودعني على جثمانها، أبداً، مُلقى

أطوقهُ ما شاء وجدي ولوعتي ... وألْثَمُهُ لثماً، وأنشَقُهُ نشقا

أوَسِّدُه زندي، وأدنيه من فمي ... وخدي، وأبكيه، وألتزمُ العُمقا

ولو أن نارَ الحُبِّ ذادتْ مَنِيَّةً ... لَذتّ ُ الردى عنها، وأحييتها عِشقا

فلا تزجرِ الدمعَ السخيَّ فإنني ... يكاد نشيجُ* الحزنِ يخنقني خنقا

يَئِن الجوى في أضلعي وحُشاشتي* ... ويزحمُ أنفاسي ويسبقها سبقا

له زفرة من جذر نفسي تَصَعَّدَتْ ... وإن لها في كلِّ أطرافها عُمقا

وهذا وجيبُ القلبِ لو كان واجداً ... مسالِكَ بعد الصدر يسلكها طلقا

لطارَ بجسمي في السماواتِ مُصعِداً ... وجاوَزَها، والوَجدُ يخفقه خفقا

يُفتشُ في الأرواح، عن روحِ أمهِ ... ليبعثها بعثاً، ويخلقها خلقا

أخي، كيف لم تُخْبر أخاك بدائها ... لِيُفرغَ في إسعاف عِلتها الطوقا

علاجاً، ولو لم يشفها، فهو حَسْبُهُ ... أما بَذلَ الجهدَ الجُهادى* فما أبقى

وتعلمُ أني أركبُ البرق ساعياً ... إليها، فإن لم يعنُ* لي، أكُنِ البرقا

وتعلمُ ما في نفسها من محبتي ... أما كنتُ أروي، لو حضرتُ لها شوقا

عفا الله، هذي عَبْرة أبَدِيَّةٌ ... فلا لا تلمني إن شرقتُ بها شرقا

أخي لا تقل بالغتَ! واللهِ إنها ... لواعِجُ من روحي إلى مِقولي ترقى

ووالله لولا عزمةٌ عُمْرية ... من المعدِنِ الأسمى لَعِشْتُ بها أشقى

هي الأمُ، رُكْنٌ قَدَّسَ الله شأوَهُ ... وأرسى به في الكونِ رحمته حقا

وشادَ على أقدامه جنة الرضا ... وكرمهُ في الخلقِ مذ برأ الخلقا

وأمـــي لهـــا فـــي ذاتهـــا وصـــفاتها ... سـجايا، مـن الأمـاتِ ، فـي نظـري،
كـأني بهـا صِـيغتْ مـن البـرِّ والتقـى ... أنقـــــــــــــــــــــــــــــــــــــى
وأنَّ لهـا فـي وجههـا منهمـا ألقـا*

لقـد أورثتنـي عـن أبـي شِـيَمَ النهـى ... فلـم أرتكِـبْ جوبـا* ولـم أهتضـم حقـا
وقـد غلغلـتْ بـي مـن جميـل طباعهـا ... حنانـا وإيثـاراً ، ومـن ذوقهـا ذوقـا
وقـد صَحِبَتْـني فـي سـبيلي إلـى العـلا ... ومـن خُلُـقِي أن لا أسَـاقَ لهـا سَـوقا
وقـد وجَّهـتْ طرفـي إلـى أرفـعِ المنـى ... فأصـبحتُ أبغـي فـوق ذِرْوتهـا فوقـا
جـزى روحهـا الـرحمنُ أكـرمَ مـا جـزى ... بـه البـرَّ والإيثـارَ والخُلُـقَ الأتقـى
وسَـقى الضـريحين اللـذين فيهمـا أبـي ... وأمي، من الرضوانِ أطهرَ ما يُسقى
ولقاهـــا مـــن نظـــرةٍ وســـكينةٍ ... وألقـى علـى نفسـيهما خيرمـا يُلقـى

لقـدْ عَـزَّ هـذا الخطـبُ حتـى إخالُـني ... رهيناً به، طوعاً، فلنْ أطلُـبَ العِتقا
وقـد طـَوَّفـَتْ أصـداؤه الأرضَ والسـما ... وقـد بلغـَـتْ أنبـاؤه الغـربَ والشـرقا
ففي كلِّ يومٍ يحملُ «البرق» من أخٍ ... تعازيَ، ما فرَّجنا عن قلبيَ الرِّبْقـا*
وفـي كـلِّ يـوم فـي البريـد رسـائلُ ... تكفكِـفُ دمعـاً زاده وَقـْـعُها دَفقـا
وإنـــي لأدرى النـــاس فيمـــا يقولـــهُ ... لـيَ النـاس، إيمانـا وموعظـة صـدقا
علـى أنَّ حِلـمَ المـرء فـي فجـأةِ الـردى ... يـزوغ، ولكـنْ فجـأة الخطـبِ لا تبقـى
يـــؤوبُ إلـــى التســـليمِ لله ذو الحِجـــا ... وإن غدقتْ عيناهُ، في حزنها، غدقا
أيـا أمتـا، لا تجزعـي، لسـتُ بالـذي ... عصـا الأمـر، فـي صـبر عليـك، ولا
تـُكـَـرِّرُ حمـدي عنـكِ لله فـي الـذي ... عقـــــــــــــــــــــــــــــــــــا
طمأنينـــة الإيمـــان لا تـــذهِبُ الجـــوى ... قضـاهُ، دُمـوعٌ لا تـَقـَـرَ ولا ترقـا*
ويُسْـعِدُ نفسـي فـي لظـى اليُـتمِ أن لـي ... ولكـن بهـا نعنـو لمـن درأ الخلقـا
وسِـرَّاً خفـيَّ الكـُـنهِ يـؤنسُ غربتـي ... رضـاً منكِ أحيا العمرَ فيه فلا أشقى
وطيفـاً بـدا فـي كـلِّ أفـقٍ رمقتـه ... وروحاً جنانياً عن الوصفِ قد دقا
وأنـي بحدسـي، شِـمتُ مثـواكِ سـامقا ... تمنيـتُ لـو أسْـكنتُ، حُبـا بـه، الأفقـا
وروَّى إلـــى يـــوم النشـــور ترابَهـــا ... لـــدى الله، زاد الله روضـــته ســـمقا
وأنـــي علـــيمٌ أنـــه المـــوتُ، حُكمـــهُ ... المعطـَّرِ مـن هتـانِ رحمتـه ودقـا*
وأنَّ يقينـــي أننـــا كلـــُنا لـــه ... ومـن الله، صـدعٌ لا نطيـق لـه رتقـا
فللـه مـا اسـتوفى، ولله مـا اسـتبقى

منايـــا، وأقـــدارٌ، وسَفـْـــرٌ قوافـــلٌ ... وأرواح خلـق نحـوَ بارئهـا ترقـى
عَجِـبتُ لمـن لـم يسـتفقْ مـن شـروده ... كـأن علـى عينيـه مـن غفلـةٍ دِبقـا*

غربة روح

مدريد: ١٣٨٢ – ١٩٦٢

في «الأندلس»... مجدٌ وأي مجد، ما تزالُ آثاره ماثِلة... تضحكُ وتبكي...
وعدتُ من «قرطبة» و«إشبيلية» و«غرناطة»... إلى «مدريد» تنجش الحيرة
في زفراتي، ويكاد طموحي الحيران، يخرجُ بي عن إهابِ الإنسان!!
والجمال... والكبت... والحرمان... بركان
عيونٌ بلا خفر... كأنها خمر من جمر، تشربك... ولا تشربها.!!
عدتُ إلى «مدريد»... إلى غربتي... وحرقتي... ونجواي مع الله...

غربة روح

يا غربة الروح، آفاقاً... وأعماقاً ... وحيرةَ القصدِ، في المجهول مُنساقا
ويا أوار* جنانٍ لا قرار له ... «مُزَئبَقِ» الميل، إعراضا وأشواقا
إلى متى تنشج الأحزانُ في عمري ... وعالمُ الناس حولي عجَّ براقا
كأنه «مدريد» غل لجَّ في عنقي ... يلفه، كلما نازعتُهُ ضاقا
إذا مددتُ اتجاهي نحوَ بارقةٍ ... مدَّتْ إلي هموم الدهر أعناقا
وليس «مدريدَ» ما أشكو بل شجىً ... قد باتَ في خفقاتِ القلب خفاقا
يا قلبُ هل خلتِ الأكوانُ من طربٍ ... أم هل عقدتَ مع الأشجانِ ميثاقا
أم إنه كُنه حُر لاهبٌ ظمئٌ ... تعيثُ نيرانه بالجسم إحراقا
يرنو طموحي إلى مجدٍ، تناوُلهُ ... صعب على غير أمر الله إطلاقا
ويستثيرُ هوى نفسي الجمال وقد ... خُلِقتُ للحسن أنَّى كانَ ذواقا
ومن تأجج في أعراقِه دمُهُ ... يظل في لهبِ الآمال تواقا
وإنني لأبيّ الذاتِ عن عرَض.. ... الدنيا، أرى كبرياء المال إملاقا
أعيش في غير جوي، حائراً بَرماً ... مُكبلا، بقضاء الله مُنساقا
نفسي تثور على نفسي وتسألني ... هدىً يفوق سجايا الناس أخلاقا
تريد أن أجعل الآفاق منطلقي ... لأبتغي خلفها للمجد آفاقا!
وليس لي حيلة والخلق من حمأٍ ... يرمي بدربي أوهاقا* وأوهاقا
هذا لعمري صراع دائبٌ سَمِجٌ ... يُبددُ العمر لأواء وإرهاقا
يا ربِّ قد رقَّ طبعي فطرةً ونهىً ... لكن جوَّ حياتي قلَّما راقا
حتامَ أحيى أحيى وروحي غائمٌ قلقٌ ... تُلقي على عزمي الأقدار أغلاقا
ألا تجليتَ يا ربي على بما ... يُزيلُ همي ويحبو الروح إشراقا

عندليب
جدة: ١٣٨٥- ١٩٦٥

عندليب

أمـــا كـــانَ ذاك العنـــدليب ينـــامُ عـــن حقيقتِـــهِ، فـــي صـــدركِ النـــاعم الـــبضِّ
فلمـــا أجلـــتُ الكـــفَّ فـــوق جناحـــه تنبـــه ثـــم اهتـــزَّ فـــي غصـــنكِ الغـــضِّ
وصِـــرتُ إذا مـــا مـــس كفـــي ريشَـــه تنفَّـــخ، والمنقـــار أومـــأ للعـــضِّ
فيـا لارتعـاشٍ قـد سـرى منـه فـي دمـي ارتعاشٌ، كبعضِ الجمر ينفث في بعض
هـــوايَ*؛ وللـــذكرى وإن أمعـــنَ النـــوى وجِـــيبٌ بقلبـــي خـــافقٌ لاهـــبُ الـــومضِ
معـــاذ الوفـــا، أنســـى طلائـــعَ عهـــدنا وأنـــتِ كنُـــوارٍ تفـــتحَ فـــي روضِ
لقـد كنـتِ لا تـدرينَ معنـاكِ فـي الهـوى فلمـا التقينـا، هـاجَ نبضُـكِ مـن نبضـي
هـوايَ؛ فهـل نامـتْ عيونـكِ عـن هـوىَ تنـاءي؟! وعينـي لـم تـذقْ لـذة الغمـض!
صـــبابة أيـــامِ الصـــبا مـــلء لهفتـــي حيـــاتي تمضـــي، وهـــي فـــي القلـــبِ لا تمضـــــــــــــــــــــــــــــــي

أحِـــسُ التصـــاقاً بيننـــا رغـــم بُعـــدِنا، ولكنـــه كـــالأفق ذي الطـــول والعـــرض:
عِنـــاقٌ، وتقبيـــل، ومـــن شـــفة الســـما فنـــاءٌ خيـــالي علـــى شـــفةِ الأرضِ

قلب ورب

مناجاة

باريس: في غرة رمضان ١٣٨٣ – (٢٧/ ١ / ١٩٦٢م).

أشرقت في قلبه غرة رمضان... وقد توقف في "باريس" بين مرحلتين من رحلة جهادية... كانت نفسه في حرق وقلق:

فيها من فقد أمه الرؤوم... غصص بكاء... ومن أوضاع أمته الأثيرة... هم عياء... ومن "باريس" وأجوائها... إثارة وإغراء...

***

صلى الفجر.. وقرأ قرآنه... وألمَّ بآيات الرحمن والاستبشار... فانطلقت منه هذه المناجاة... بين دعائه.. ورجائه...

مناجاة

هـاك نفسـي، وكـل أهـواء نفسـي ... وجـوى غلتـي، وتبـريح بؤسـي
واصـطراع الطمـوح مـلء جنـاني ... واضطرابي ما بين عزم ويـأس
هـاك ذاتـي، وأنـت بـارئ ذاتـي ... وصفاتي ، وأنت مرهف حسي

بـين جسـمي وبـين روحـي جهـاد ... أزلـي الجـذور مـذ كـان جنسـي
هـاك شـجوي وحيرتـي وحنينـي ... وأنـين الهمـوم فـي قلبـي أنسـي
قلـب أنسـي! وأيـن أنسـي هـذا؟ ... إنـه الـوهم فـي غمـار التأسـي
وحيـاتي، يـا رب، إن حيـاتي ... غربة في غدي ويومي وأمسي
ومـراد محلـّق فـي الأعـالي ... لـم يـزل نحـوه توجـه رأسـي
وفـؤاد يـؤج فيـه هـواه... ... ورؤىً كـاليقين تمـلأ حدسـي
فيكياني – يا رب – روحي يشكو ... قلق السعي بين مهدي ورمسي
أسـبغ الرحمـة الـرؤوم عليـه ... وارع عزمي، ولا تكلني لنفسي
أنـت صـيرتني لقوسـك سـهماً ... كيـف أرمـي إن لـم أشـد بقـوس
أنـت قـدَّرتَ لـي الأمانـة عبئـا ... فـأعني وامـدد ببأسـك بأسـي
واصـطنع للوجـود قلبـي شمسـاً ... لأنيـر الوجـود مـا دمـت شمسـي

قطيرة

باريس: في ٢٤ من جمادى الآخرة ١٣٨٧هـ (١٩/ ١٠ / ١٩٦٥م).

... وفي "باريس" مرة أخرى... وخلال رحلة جهادية أخرى لأداء رسالات مصيرية... كان يعيش في مرارات ومكابدات... وفي قلب اللأواء والضوضاء... كانت له سبحات وتأملات... استعرض حياته.. وقوم ذاته:

إنسان رهيف، في قلب أعاصير... ذرة في كون!.. وقد سخر له "كل ما في الكون"!.. منجم طاقات وقوى... ولكنه يقف منها كالمغلول.. شبه مشلول... وتوجه إلى الله... سلمه أمره.. وشد به أزره... فإذا الضعيف المكابد.. يجاهد ويجاهد... وإذا القعيد.. فعال لما يريد... لما يريد ربه...

قطيرة

أنا..! أقول أنا...! ماذا أكون أنا؟! قطيرة، طوقتها غمرة الثبج...
يجري بي الموج في رهو وفي وفي صخب مدأ وجزراً، فنهج الموج منتهجي
لا... بل أنا قدرة تحيا إرادتهم لولا الإرادة لم أخرج ولم ألج

فقد تكون الدنا بي – مرة – حلكا وقد تكون سراجا جل في السرج
عمرتها، فهي دوني لا حياة لها أنا الحياة، أنا تهويمة الوهج
وما علي – وقد صورت من حمأ – إذا ألمت بنفسي فورة الرهج
حينا... وحينا... وحسبي الروح قد نفخت في هيكلي، وحبتني مهجة المهج
فضم قلبي برايا الله قاطبة ومد عقلي السما والأرض بالحجج
لكن عزمي بسر الكون مرتهن فالله يطوي لياليه بمنبلجي
وكم سعيت، وأمر الله يمسكني وكم وصلت بلا لأي ولا حرج
قطيرة أنا، لكني الخِضَمُّ إذا ودرجت فيما يريد الله من درج
وما البحار.. وهاديها.. وأطلسها إلا القطيرات قد آلت إلى لجج
أنا الخليفة، جل الشأن وانطلقت منه الرسالات تمضي بالهدى وتجي
وإن لي منذ أن قيل "اهبطوا" نصبا لا ينتهي، ووغى في كل منعرج
مرزأ.. صابر.. أمضي على أمل لا بد أن ينتهي أمري إلى الفرج

.....

الثَبَج: عرض البحر ووسطه
تهْويمة: التهويمة: الشعور بالحاجة إلى النوم
الوَهَج: حر النهار والشمس ونحوهما
الحمأ: طين التكوين الإنساني
الرّهج: الغبار
لأي: اللأي: التعب
"اهبطوا": إشارة إلى قول الله تعالى:

(قلنا اهبطوا منها بعضكم لبعض عدوا..)
مـُرَزَّأ: المرزأ: المبتلى

مهاجر
الرباط: ١٣٨٧هـ - ١٩٦٦م.

نافـــذة كـــالخيط مفتوحـــة ... بـين جفـوني فـي المـدى مرسـلة
تمتـد مـا ضـيقت إغماضـتي ... إلـى رؤى مُعْرَضـة مقبلـة..!
ونجمـة يخطفنـي ومضـها... ... مـن عـالمي إلـى دنـى مغفلـة
كـأنني أنسـاب مـن هيكلـي ... قلبـا شـجياً قـد جفـا موئلـه
أسـيح حيـران المنـى ظامئـا ... أغِـذ فـي دائـرة مقفلـة
في الغيب.. في الغيهب في التيه..لا ... سـرب ولا درب، حـزين الولـه
سـرى علـى غيـر هـدى... طـائر ... مهـاجر لـم يسـتبن منزلـه

حتـى إذا الفجـر بـدا نـوره ... وغابـت النجمـة، لا عـن قلـة
أيقظنـي البلبـل مـن سـهوتي ... وصـاح بـي ديـك – ومـا أعقلـه:
قـم لصـلاة الفجـر واغـنم بهـا ... سـكينة الـنفس وحسـن الصـلة
إن خطـا الأقـدار تمضـي إلـى ... غاياتهـا قعسـاء مسـتعجلة

مجنح.. فوق السماء

الرباط: (جناح طب القلب في مستشفى "ابن سينا")

في ٧ من جمادى الآخرة ١٣٩٥هـ - (١٧ / ٦ / ١٩٧٥م).

في جناح طب القلب... من مستشفى "ابن سينا"... سبحة... ودعاء... لحظات محلقة... بين إغفاءة المرض... وما فوق انتباه البصيرة... والشاعر.. في خضم شتى المشاعر صابر.. حامد.. شاكر... يكابد لأواءه... ويتابع مضاءه...

مجنح.. فوق السماء

قلبـي.. ومـا قـد بـث قلبـي ... فـي الجنـان .. وفـي الكيـانْ
مـن وقـدة الهـم الكـؤود ... يظـل يمعـن فـي الحـرانْ!
مـن وثبـة العـزم الصـعود ... ومـن مكابـدة الزمـانْ
مـن غضـبة الحُـر الصـمود ... وقـد رأى حُـراً يُهـان
مـن لهفـة العطـف الـودود ... مـن الوفـاء.. مـن الحنـانْ
هو فـي الجـلال وفـي الجمـال ... معـاً.. وفـي قـاص ودانْ
كـم ذا اشـرأبَّ يجـاوز← ... الآفـاق... يسـبح فـي الجنـانْ
فـي سَـرحة الأمـل الشَّـرود ... رحابـه فـي اللامكـانْ
قلبـي، وبـثُّ القلـب يعجـز ... → أن يصـوره البيـان
يعـدو المنـى... يحـدو السـنا ... فكـأن قلبـي فرقـدانْ
حتـى إذا مـا ضـاق عنـه← ... الجسـم، وانعقـد اللسـانْ
حلقـتُ ... مـلء سـكينتي ... وتركـت للقـدر العنـانْ
وسـموتُ أدعـو مطمـئنَّ ← ... الـروح.. مرتـاح الجنـانْ
أعـو دعـاء مجـنح ... فـوق السـماء لـه يـدانْ
والقلـب، وهـو أبـو القلـوب ... → وكل مـا فـي الكون فانْ
أودعتـه ربـاً بـراه ... ورحـتُ أغفـو فـي أمـانْ

وساد من صخر

شـــــاطـئ الـهرهـــورة

في منتجع على شاطئ الأطلسي المضطرب.. المنسرب... متعاشقاً مع تشعبات الصخر... كان يقف الشاعر في شمس الشتاء... بين العواطف.. والعواصف... يتأمل.. ويتجمل... موج هادر... وحر صابر...

وساد من صخر

مـــوج كـــأن البـــون مـــن زحفـــه ... أســـدٌ أثِيـــرَتْ، فلهـــا كـــر...
تطـــارد الـــريح خطـــا ســـعيه ... فليلـــه لـــيس لـــه فجـــر!
يـركض مـن أقصـى المـدى لاهثـا ... يكـــاد يـــرتج بـــه البحـــر

وقـــد يرانـــي ناجمـــا باســـما ... فـــي عزلتـــي الحـــرّى فيغتـــر
يظـــن أنـــي فـــي طمأنينـــة ... ألا لقـــد يبتســـم الحُـــر...
والهـــم فـــي أعماقـــه لاعـــج ... وصـــبره – مهمـــا حـــلا – مـــر
يـا مـوج! سـل بحـرك عـن بسـمتي ... وســـرِّها... فينجلـــي الســـر
هـــو الرضـــا؛ فـــالله قـــد حفنـــي ... بـــأنعم لـــيس لهـــا حصـــر
لكـــن هـــم الكـــون فـــي مهجتـــي ... يلـــوك ســـرّائي ويجتـــر
وقـــدري الـــلأواء لا تنتهـــي ... وقـــد أهمـــي وينتهـــي الصـــبر!
ومـــدد الحُـــر مروءاتـــه ... يغضـــي عـــن الـــلأي ويفتـــر
وراحـــة الحـــر معاناتـــه ... يـــدأب مهمـــا مســـه الضـــر
فمـــا الـــذي ترجـــوه يـــا مـــوج مـــن ... مكابـــد أنفاســـه جمـــر
يـــا مـــوج! لا رمـــل علـــى شـــاطئ ... فأنـــا وأنـــت وســـادنا الصـــخر

.....

البوْن: المسافة
ناجما: ظاهرا
لاعج: اللاعج: المشتد المحرق
حفني: أحاطني
يلوك: لاك الشيء: أداره في فمه ومضغه
سرائي: السرّاء: الهناءة.. عكس الضراء
اللأواء: الشدة والمشقة
أهِي: وَهَى يَهِي: ضعف
اللأي: التعب
يَفتَر: يلوح عليه الابتسام

خلايا تسبح الله

شاطئ الهرهورة.. في ٢ من رمضان ١٣٩٨هـ

خلايا تسبح الله

أقصر، يا ربي، وأذنب مخطئاً ... وفي غور ذراتي وذاتي تعبّدُ
فذنبي في سطح الإرادة غفلة ... وزيغ، وعن عزم السداد تردّدُ
ولكن خلاياي التي من نمائها ... وجودي في إصعاده يتجددُ

تسبح، لا تنفك، في محض طاعة ... وتستغفر الرحمن دأباً وتحمدُ
فأحيا، ولو في قلب ذنبي خاشعاً ... لربي، أحيا ذكره، وأمجدُ

غريب

شاطئ الهرهورة: بين أذان الفجر وصلاته حاضراً؛
في ٢٢ من ربيع الثاني ١٤٠٧هـ - (١٩٨٦/١١/٢٥م).

غريب

الله أعلم ما يُخبِّئ ... – في غد – للعبد ربهْ

- قالوا: مَريجُ جدارة! ... - وجدارة الإنسان دأبهْ
- فالوا: مريض مُدْنَفٌ... ... - أوليس حب الله طبُّه؟!
- قالوا: غرير، حلمه ... ناءٍ، وخلف الأفق دربه
- أوَمَا دروْا أنّ المقدر ... → كائن، والقرب قربه؟!
- قالوا: الهموم وأدْنَه ... - هموم حرّ النفس عَضْبُه
يمضي... يمارس ذاته ... فيهون بالعزمات كربه
- قالوا: شديد الدار، يحيا ... وحده، وجفاه صحبه
- لا بأس، فلْيَجْفُ الذي ... يجفو، فإن الله حسبه
قالوا: نَفتَهْ الأرض مذ ... عشق السما، والذنب ذنبه
لا الشرق – مَنْبِتُهُ – له ... شرق، وليس الغرب غربه
لا يستجيب له انتماء ... كونه قد ضاق رحبه!
- قصرت مداركهم.. وراء ... → الأرض يربض ثم شهبه
يرقى المعارج من ذراه ... → يسير.. والأفلاك ركبه
قالوا: غريب.. – بورك ... الغرباء، للغرباء حبه
هي غربة الأحرار، في ... ملكوتها يرتاح قلبه...

قالوا.. وقيل.. ولا يَني ... يسعى، وعند الله غيبه
فالله أعلم ما يخبّئ ... في غدٍ للعبد ربه!!

عزة التذلل

مكة المكرمة: في ١٣ من المحرم ١٤٠٩هـ

عزة التذلل

يـــا مـــلاذا يـــا لـــواذا يـــا ســـنا ... ذرة مـــن ومضـــه تجلـــو الحلـــكْ
أمـــل الأكـــوان بـــالخير، فمـــا ... خـــاب فـــي الأكـــوان عبـــد أمّـــلكْ
وأنـــا يـــا رب.. عـــزّي أننـــي ... كلمـــا ذلـــّت معـــاني الـــذات لـــكْ
زاد شـــأني وارتقـــى شـــأوي عـــلا ... مشـــرئبا.. فلكـــاً إثـــر فلـــكْ
وبنفســـي فـــي تتـــالي نفســـي ... وكـــأني طـــائر فـــوق ملـــكْ
ســـبحات لا تـــَني مصـــعدة ... وبـــه التقـــديس بالحمـــد اشـــتبك
فتقبلنـــي – علـــى ذنبـــي – ففـــي ... خفـــق قلبـــي حبـــك الأســـمى ســـلك

لِواذاً: لاذ بالشيء: لجأ إليه واستغاث
شأوي: الشأو: الأمد والغاية
مشرئباً: متطاولا متطلعاً
لا تنِي: ونى: ضَعُف

في دفتر الأزل
شاطئ الهرهورة: في ٥ من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - (١٩٨٨/١١/١٥م).

في دفتر الأزل

كـرر ضـياعك بـين العـذل والجـدل ... واصبر على العقم في جو من الدَّخَلِ
ولا تحـاول، فإحيـاء السـدى عبـث ... يـا مـن يقـوّم معوجـا بمعتـدلِ؟!
إذا الضـنى أزمنـت فـي الـنفس شِـرته ... فـلا شـفاء لـه يرجـى مـن العسـلِ
فـالزم مكابـدة تجنـي مثوبتهـا ... وعش على الهم بين الوهم والأمل
ودعْ بلهْنيـة، هيهـات تـدركها ... أو فالتمسـها خيـالا فـي سـنا زحـل
مـرّت وفـرّت هنيْهـات سـعدتَ بهـا ... وغاب، بل ذاب صفو الأنس والغزل
غفـوتَ، والصـحو فـي عينيـك شـعلته ... فاسـتغفر الله عمـا كـان مـن زلـل
وسـلم الأمـر للـرحمن مُبتـدِراً ... رضـاه، واطمع بـه تسكن من الوجل

يا رب، ضعفي عن التقوى شكوت ولا ... لا عذر لي، حَصِرَتْ بل أبلست عللي
سـبيل أمـرك فـذ لـو سـلكت لـه ... وسعي، نجوت بـه من حيرة السبل
مـاذا تبقـى مـن العمـر الـذي تعبـت ... أيامـه، وهـي ترقـى ذروة الأجـل
تطـوى صـحائفها، تمضـي دقائقهـا ... لهثـى، وتزفـر مـن كـد بـلا عمـل!
يـا أعـين الغيـب هـل أبصـرتِ آخرتـي ... وشـمتِ موعـدها فـي دفتـر الأزل؟
وأنـت، يـا يـد أقـداري خـذي بيـدي ... شدّي على أذني... واجري على عجل
حـان الرحيـل غـداً، أو لا.. فبعـد غـدٍ ... لابـد.. لابـد.. هـل أعـددتُ مرتحلـي!
إذا المثـول دنـا، أنـى أكـون أنـا؟! ... ويـالهول مثـولي غيـر ممتثـل..!
مـاذا ادخـرت؟ ومـاذا أسـتزيد لـه ... وكيـف ألقـاك، يـا ربـاه، وا خجلـي!

.....

الدخل: الفساد
السدى: الممهل الساقط من التكليف
أزمنت: أزمن: طال عليه الزمن
شِرّتـه: الشرة: الحدة
بلهنية: البلهنية: الرخاء وسعة العيش
حصرت: ضاقت
أبلست: أبلس: سكت لحيرة أو انقطاع حجة
لهثى: لهث: أعيا وتعب
شمت: شام مخايل الشيء: تطلع إليه مترقباً

في معارج الشعر

شاطئ الهرهورة: في ١٢ من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - (١٩٨٨/١٢/١م).

في معارج الشعر

عرجت – وقد أمعنت في الغمض – فأبصر قلبي ما توارى وما بدا
مصعدا عوالم أنوار سَجُوع لها صدى
ويمّم بي وحي من الشعر مشرق جنان فساح البوْن ليس لها مدى
سماواتها معمورة.. ورحابها

معطرّة التكوين.. فيّاضة الجدا
ينابيعها من كوثر الخلد عذبة ← المُعَتـَّق، فاستشعرت نفسي مخلـّدا
نهلت ارتشافاً جرعة من سلافها وأبْتُ.. ولكن ألـْمَعِيّاً محمدا
وغبت.. ولكن في حضور معمق وقدّست.. أواهاً منيباً مُسدّدا
وحلـّقـْتُ حراً.. عابدً متبتـّلا وصيّرت الأكوان للحر مَعْبَدا
عبودية لله أعلت مراتبي

وكُنهي يدعو – كُل كُنهي – مُردّدا
مددت يدي وَجْدِ الضراعة مُلحِفاً وكان اتجاهي "سدرة" العز والنّدى
مددت يدي وجْدي إلى "منتهى" العلا تبسم فيها البر وافتر مسعدا
وخيّل لي أني لمحت غصونها حنا.. ودنا نحوي، ومد لي اليدا
وقد مال غصن من فروع سُموقها وهاج وماج الروح فيَّ تواجدا
فكاد صوابي أن يغيب تولـّهاً... وآفاقه – من أنعم الله – موردا
وأورَدَنِي شعري ووحيُ انطلاقه وأوسعني ذوق الجمال تهجدا
وغلغلت في سر الجمال تذوُّقي جناني لربي سُجَّداً ثم سُجَّدا
وخرّت خلايا الشاعرية في سنا

سجوع: المغردة الصداحة
الجدا: النفع والعطاء
سلافها: السلاف: أفضل الخمر، ومن كل شيء خالصه
ألمعياً: الألمعي: الذكي المتقد الصادق الفراسة
متبتلاً: تبتل إلى الله: تضرع إليه
أواهاً: الأواه: المتضرع المرسل الآه خاشعا
منيباً: أناب: رجع إلى الله وتاب
مُلحفا: مُلِحَّاً
"منتهى".. "سدرة": سدرة المنتهى، إشارة إلى الآية الكريمة في سورة النجم
سموقها: سموق الشجر: علوه وارتفاعه
غلغلت: غلغل: تسرب

٢٧

في جهاد النفس

شاطئ الهرهورة: في ٢٦ من ربيع الثاني ١٤٠٩هـ - (١٩٨٨/١٢/٥م).

في جهاد النفس

أنـا فـي الحـزن مـذ خُلِقـتُ بكيـاً ... فعلـى الحـزن نـبض روحـي تأسـسْ
فـي مرايـا نفسـي همـوم البرايـا ... تتـراءى فـي لمـع حِسـي وتـُعكسْ
وأنـا فـي النقـاء – رغـم ذنـوبي – ... وعُيـوبي – أسـهو ولا أتـدنسْ
لـي متـابٌ إلـى الـذي هـو أدرى ... بـيَ منـي، فعنـه لا أتـدلسْ
غربتـي غربـة، وصـمتي ذكـرٌ ... وحيـاتي.. بربهـا تتـنفسْ
لا أسـيغ الكـلام إلا لمامـا ... رُبَّ صمتٍ من أنفس القول أنفسْ

٤١

في مدى الخلد

جدة: ليلة الغرة من رمضان ١٤٠٩هـ - (١٩٨٩/٤/٥م).

في مدى الخلد

كمـا أطْـفِئتْ خليـة جسـم ... من كياني، زكت بروحـي خلايـا
وسـأبقى إلـى الثـرى أتـدانى ... مُرْسَلُ الخطو في طريق المنايـا
وسأمضـي بـالروح أسـمو وأرقـى ... ثـم أرقـى... وأسـتحث خـُطايا
فـي دروب السـنا.. وتعـرج روحـي ... بـيَ، حتـى فـي النـور ألقـى مُنايـا
فـأحط الرحـال ثـَمَّ قريـرا... ... فـي مـدى الخلـد، ينتهـي بـي مَـدايا

.....

زكت: يعني نمت وزادت

٤٢

كنه فذ

جدة: في ٢ من رمضان ١٤٠٩هـ - (١٩٨٩/٤/٧م).

كنه فذ

لســت بــالهم أحتــرق ... بـل أجَــلِّــي وأنبثـقْ
مصــعداً فــي معــارج ... كـلُّ مـن أمَّهـا عشـقْ
أنـــا كنـــه مميـــز... ... للجـدا والنـدى خـُـلقْ
أنـــا فـــذ، فطينتـــي ... بســنا الــروح تــأتلقْ
إنـــه روح خـــالق ... وأنــا منــه منطلــق...

٤٣

الصيام.. الغذاء

جدة في ٣ من رمضان ١٤٠٩هـ - (١٩٨٩/٤/٨م).

الصيام.. الغذاء

جـــدد حياتـــك بالصـــيام ... فبالصـيام غـذاء روحـكْ
داو الـذي تشـكو بتقـوى ← ... الله، تــبْرَأ مــن قروحــكْ
واغـــنم أويقـــات التجلـــي ... فـي الطريـق إلـى نزوحـكْ
واشحذ سموك عن حياة ← ... اللغو، وادأب في طموحكْ
وارق الـــذرا وَدَع الثـــرى ... طال المُـقام علـى سفوحكْ

شفاعة الحب

جدة: في ٥ من رمضان ١٤٠٩هـ - (١٩٨٩/٤/١٠م).

شفاعة الحب

نـــور عينـــيَّ وقلبـــي ... وهـدى عقلـي ودربـي
ورضـى نفسـي وصـفو← ... الروح، مهما اشتد كربـي
أجهـش الوجـد بأعمـاقي ... → ونحبي.. طـال نحبـي
غربتـــي تحتـــد.. تمتـــد ... → فطِرْ بي.. ثم طر بي
للســـماوات... وآنـــس ... غربتـي الحـرَّى بقـربِ
أدبـي يـا أربـي، سـاء، ... → وذنبـي.. زادَ ذنبـي
فبخمـر الحـب تـُسْتقطـَر ... → مـن أعمـاق صـبٍّ
ثملـت ذاتـي.. فناديتـك ... ناجيتـــك.. دأبـــي
طمعـــاً بالحـــب، لا ← ... شـــكوى، ولا طـــائف
يـا حبيبـي... أنـا عبـدٌ ... عتـــــــــــــبِ
أنـت فـي خفـق جنـاني ... يـا حبيبـي أنـت ربـي
فـإذا جـاوزتُ حـدي ... وكيـاني ، مـلء قلبـي
... أفـلا يشـفع حبـي؟!

أجهش: جاش وتحركت نفسه
نحبي: النحب: أشد البكاء
تستقطر: الاستقطار: استخلاص العناصر السائلة من الأزهار ونحوها
صب: الصب: المشتاق

كلٌ.. وهمته

جدة: في ٢٩ من رمضان ١٤٠٩هـ - (١٩٨٩/٥/٤م).

كلٌ.. وهمته

تتالـــتْ دقائقـــه مطمئنـــة.. وفرَّتْ.. ومرت كبرق الأسِنةْ
لـــه وقعـــه.. ولـــه لمعُـــه.. أفـــانين: فـــيض.. وفـــرض..
وكـــل وهمتـــه... والتجلـــي وسُـــــــــــــــــــــنة
فمـــن كـــان فـــي قلبـــه نـــوره مُشـــاعٌ، ولله فضـــل ومنـــةْ
ومـن كـان فـي القلـب ديجـوره سما.. ونما.. في ليالي المظِنَّةْ
سـألنا لـه الله كشـف الدُّجُنَّـةْ

أفانين: أفانين الشيء: طرقه وأساليبه وأنواعه
المظِنة: مظِنة الشيء: موضعه ومألفه الذي يظن وجوده فيه
الدجنة: السواد والظلمة

برقٌ في منام ليلة قدر
جدة: في ليلة ٢٥ من رمضان ١٤٠٩هـ - (١٩٨٩/٤/٣٠م).

بعد آيات بينات، من قرآن فجر... مال رأس الشاعر.. بنعاس مُلِح، وتلامعت في رؤى نومه ومضات كالبرق، أيقظته على بيت من الشعر يتردد بين جنانه ولسانه...
وانسابت هذه القصيدة بتلقائية وعفوية.. على السجية...
وقد اختار الشاعر أن يتأخر في إدراجها عن خماسيات سبقتها في التاريخ لتكون مسك الختام لديوانه الإلهي الثالث « قلبٌ.. ورب»...

برق في منام ليلة قدر

أبـــرق؟ وكيـــف! ومـــا أرعـــدا؟! أم النـــور فـــي البـــون حُـــراً بـــدا؟
ومـــن أي أفـــقٍ؟ ثـــرى أم ذرى؟! ومـــن أي نبـــع أفـــاض النـــدى؟!
تـــراءى.. ولا.. لـــيس مـــن وجهـــة! فـــلا.. ثـــرى.. ولا ذرى.. لا مـــدى!

أمـــن غـــور قلبـــي؟! وأيـــن انتهـــى؟! وأنـــى؟! أكـــان لـــه مبتـــدا...؟!
وفـــي ليلـــة القـــدر.. غفـــواً وصـــحوا متـــى؟ كـــم.. وكـــم؟ أزَلا.. ســـرمدا؟!
ولـــو كـــان مـــن غـــور قلبـــي انبـــرى يعـــانق ومـــض الســـنا الأبعـــدا
لكانـــت خلايـــاي قـــد أشـــرقت بـــأنواره.. رُكعـــاً.. سُـــجدا...
وكنـــت تغلغلـــتُ فـــي العـــالمين.. ← ولا بـــاب يحجبنـــي موصـــدا!!

وأسْـــمِعتُ – لا مـــن فـــم – نغمـــةً جـــنِانية.. مـــا لهـــا مـــن صـــدى!
تـــزف لـــي المجـــد والســـعد فـــي تجـــلٍ... وتـــوردني المـــوردا...
إذا كـــدتُ أزلـــق عـــن أوجـــهٍ تبـــدتْ.. ومـــدت لجـــذبي يـــدا
ولاح الجـــلال.. وفـــاح الجمـــال وقـــد بهرتنـــي الـــرؤى.. خُـــرَّدا!

وأوقظـــتُ.. والنـــور فـــي أعينـــي فلـــبثتُ علـــى حُلمـــيَ المُســـعدا
ودرتُ برأســـي فـــي حيـــرة أجـــوب الســـماوات.. مسترشـــدا
وكـــان الـــدجى قـــد مضـــى وانقضـــى ولا نجـــم ثـــمَّ بـــه يهتـــدى
وقـــال لـــي القلـــب: إنـــي هنـــا... لـــديَّ الســـنا.. والمنـــى.. والجـــدا
فمِلـــتُ إلـــى لانهاياتـــه... وبـــادرني خفقـــه منجـــدا...
وأنعـــم بالـــذكر كنهـــي رضـــاً وأدنـــى لمنطلقـــي الفرقـــدا
نضـــا عـــن كيـــاني حجـــاب الهـــوى وعينـــيَّ غطـــى.. فلـــم تشـــهدا
وبصـــر عقلـــي بســـر الـــدنا... وقـــد صـــاغها ربهـــا معبـــدا...
وذراتهـــــــــا.. ذرة.. ذرة.. تصـــلي... فتابعهـــا واقتـــدى
وهـــام بـــه الوجـــد: غـــاب «الأنـــا» فـــلا مـــن زمـــان.. ولا مـــن مـــدى!
وعـــدت رويـــدا.. رويـــداً إلـــى جـــذوري... وعايشـــتها مصـــعدا
ولكـــن بروحـــي.. شـــوقي بكـــى وذوقـــي زكـــا.. وقصـــيدي شـــدا...

أذان القرآن

مع الفجر

قـد جـلا الليـل عـن الكـون ← مـع الفجـر وغابـا
ودعـا الـداعي إلـى الله ← فكـن فـيمن أجابـا
قـم توضـأ فصـلاة الصـبح تغـذوك شـبابا
تـركَ الليـلُ علـى ← جفنيـك دِبْـقاً مسـتطابا
فاغسـل العينـين فـي مـاء ← التقـى، واغـنم ثوابـا

« في حومة النكبة والغربة، ودعوة (الاتحاد) ودعواه، نفثة حُرّ حَرّى؛ دعاء في الليل ومناجاة، وأملٌ بالله لا ينقطع».

دعاء في الليل

أشـتكي، والشـكاة ليسـت علاجـا أقفـرَ الـدهر مـن صـفيّ يُنَـاجى
يـا لهـمٍ معـاودٍ مـدلهمّ هُـجَّ فـي دورة الحيـاة، وهاجـا
أمـة فـي الـبلاء زمجـرتِ ← الأهـوالُ فـي «قدسـها» ولجّـتْ لجاجـا
وشـعوب فـي سـدرة التيـه بـين ← القيـلِ والقـال، خطبُهـا يتـداجى
أوثـق «الحكـم» قيـدها وترَضَّـاها ← وأخفـى عنهـا، وأبـدى، وداجـى
زوَّرَ الحـق، واشـترى ذمـم ← النـاس، فشـاع الفسـادُ فيهـا وراجـا
وبغـى واسـتبدَّ يفتـكُ بالأسْـد ← لتبقـى لـه الشـعوبُ نِعاجـا
ثـم نـادى: هـذا عـدوكم الأدهـى ← تعـالوا.. سُـدوا عليـه الفجاجـا
واخفقـوا تحـت رايـةٍ «لاتحـادٍ» وابـذلوا طاعـةً وأدوا خراجـا
سـندينُ العـدو فـي «مجلـس الأمـن» ← ونصـليه خطبـةً واحتجاجـا
سـيغدو «جـيش اتحـادِ» قوانـا «لحكوماتنـا» حمـىً وسـياجا!
والـذي يرفـع العقيـرة بـالحرب ← عميـلٌ يقطـعُ الأمشـاجا!
خـائنٌ يسـتحق محقـاً، غـرورٌ دبَّ يلقـي بمكـره إدلاجـا!

هـي «مأسـاتنا» تُـمَوَّهُ «ملهـاةً» ← وهـاهم يبغونهـا «إخراجـا»
ديـدنُ «الحكـم» مـذ غـدونا ← هـذا، فلنـنفخِ الأوداجـا
«اشـتراكيين» وارتضـينا دينـاً لنـا «الإنتاجـا»!
قـد نبـذنا «رجعيـةَ» الـدين نبـذاً ← انـدماج المكبلـين انـدماجا؟
ويلهـم! مـا يفيـد فـي حومـة الكـرب ← ومـا زال زيفـه منهاجـا!
مـات مـن كـان كابِـرَ النكبـة العظمـى
← ويرجـو للحالكـات انبلاجـا
يـا إلهـي، حُـر عُبَيْـدٌ يناجيـك فـي السـماوات يـزحم الأبراجـا
حبَّـةٌ، والرحـى تـدور، وقصـدٌ ← أسـعى ولا أصـيب انتهاجـا؟!

أتراني في رحلة الأمل اللهفانِ ... الصّقر في جوِّه العليِّ فماجا
زلزلتْ قصفة الرياح جناحَ ← ... أهل.. غريق يكابد الأثباجا
يا إلهي؛ لا قومَ، لا صحبَ، لا ← ... البحر يطوي وينشر الأمواجا
غربتي غربة الحياة، وهمي ← ... كقريح مضنى اكتسى ديباجا
أمتي، في ضَياعها، وهي تلهو ... الرمسِ؛ فغور البركان يغلي هِياجا
ليس يدري: للعرس أم كَفَنَ ← ... مقبلاتٍ إلا لتسأل حاجا
والصداقات لا تكاد تراها ... تلقى لَماماً – مداه أن يتشاجى
وأخو الودِّ – وهو أندر من ← ... قلبي البَرِّ ضلّة « ومزاجا»
وأزاهير قلبي البرِّ شاكت ... → وما بيننا، يزيد اعوجاجا
كما قلتُ: في غدٍ يستقيم الأمرُ ... الحرِّ؟ رهينٌ لا يملك الإفراجا
آه! ماذا أقول عن قدر ← ... → ليست حقيقة وابتهاجا!
يا إلهي، حتى ابتسامته البيضاء ... → ويحيا مروءة و « ازدواجا »
يبسِمُ الحُر والأسى ملءُ جنبيه

السجن، إذا ما حللتَ عنها الرِّتاجا
وأرى الشِّعرَ كوَّة الضوء في ← ... الشعرِ همّي، أشكو وأثني، مزاجا
نعمة الله أن أبُثَّ ضمير ← ... → غيضاً من دائه استدراجا
زفراتُ المصدور تسري فتستخرج ... الحب فيه، بل يزيد اعتلاجا
وشفاء القلب الشجيِّ اعتلاجُ

صبر، لا شعر، لا رجا، لا انفراجا
يا إلهي، لولاك كنت سدى؛ لا ... مَدَّ عُمْري وعدّه أفواجا
هي آلاؤكَ الرَّؤومُ توالى ... همّة توقِد « الثريا » سراجا
لستُ بالجاحد العَقوق ولكن ... ابتغت نحو ربها معراجا
إن دجى ليلها وأبهمَ مسراها ← ... الروح نوراً مخلّداً وهّاجا
فأعني يا ربُ واحبُ طُموح ←

٨ رجب ١٣٩١ هـ

ذكريات وتأملات... بين الأمل والعمل، والأشجان والإيمان.. وحوار شاعر ساحر مع قمر النصف من شعبان:

سعي إلى الفجر

في ليلة النصف من شعبان، متّجها ... إليك يا ربِّ بالإيمان والأمل
أدعو وأدعو وقلبي خاشع ويدي ... مبسوطة، وبنفسي عزمة العمل
وأنشر العمر يطويه تطاوله ... سُرًّا وضُرًّا، بمستشفى ومعتقل
وللهناءة ومضٌ في حنادسه ... كومضة الدمع يأبى فرقة المقل
وأذكر القدس والأقصى ونكبتنا ... ومن تخيرهم إبليس من خول
يكاد يحرقهم غيظي بنار لظى ... ما أورثوا العُرْب من ذلٍ ومن زلل
وهمّتي لهفة عجلى مكبّلة ... تُغِذ – والدرب من شوكٍ – على مهل
والعقل يرتقب الأهوال في غده ... فأمتي مَزَع في خطبها الجلل
رؤوسها – والأنانيات تحكمها – ... فؤوسها، وشعوب خُضْن في الوَحل
والصّحْب في غفلات من مشاغلهم ... وصفوة القوم في التفنيد والجدل
وأسرتي، مغرب الدنيا ومشرقها ... توزّعاها، بما فيها من الخلل
وكاهلي الكهل والأعباء ترهقه ... وغربتي، والأسى، والجسم في العلل
ما حيلتي ووطيد العزم يحفزني ... والأمر أكبر من عزمي ومن حيلي؟!

في ليلة النصف من شعبان معتمداً ... رأسي وفيه اتقاد الوَجْدِ والوجل
وللصداع نقيق في محاجره ... وحدي مع الهمِّ في دنيا من الدَّخَل
سهدتُ والحزن – ليس اليأس – يعصرني ... والليل ساجٍ وإيماني يسدد لي
فأستحث إلى الفجر الخطى تعبا ... مستبشراً وعلى الرحمن متّكلي
مجاهدا في سباق لا اتئاد له ... بين المنى والمنايا في مدى أجلي
أدعو وأمضي ولا أنفك عن ثقتي ... بالله أنّ مضائي غيرُ منخذل
وأن لله في مكنون حكمته ... وغيبه لقضاءٍ غير مرتجل

سيدي حرازم ١٤ شعبان ١٣٩٢هـ

أمي

أمي...

جبل الأربعين: أريحا (سورية) في: ٢٩ من ربيع الثاني ١٣٨٢هـ

« كانت العاطفة بيننا، تتجاوز البرَّ والحبَّ والوفاء...

كانت مودة في الأعماق الإنسانية وضرباً* من عشق المثل الأعلى، في الصبر والإيثار...

كانت تمازج في حياة السراء والضراء، خلال ربع القرن الأنضر من عمري...

فلما فاجأتني وفاتها – رحمها الله – كان وقع المصيبة عليّ... هائلاً غائلاً*...

ومضتْ الأيام... وأنا أحاول وأحاول أن أحمل نفسي على السلوان، بكلِّ ما في كياني من إيمان...

تعقّلتُ الأمر، وتجمَلتُ بالصبر... وعقدتُ العزمَ على مواجهةِ «اليوم الأربعين» بجأشٍ* متين...

ولكن... ما إن أشرفتُ على نـُثـَار* الزهور، فوق مرقدها الطهور... حتى أخذتني أزمة بكاءٍ ودعاء، ملء الأرض والسماء...

ولاح طيفها من جديد، لخياليَ الهائم الحزين، شبحاً ممدداً مصفراً، تستقرّ ُ البسمة على شفتيه، وقد غادرتهُ الروح، تاركة إشراقها عليه...

غامت المعالم في شعوري، ووجدتـُني مرمياً على القبر الفواح، أمعن في النواح...

والأصدقاء يجذبونني، وأخي يدعوني إلى الرفق...

فألجأ إلى القرآن، تتساقط دموعي على صفحاته، وتـُغبـِش* حروف آياتِهِ...

ورجعتُ إلى «جبل الأربعين» أخلو إلى الليل الحالك... أعيش بأعماقه مع أمي من جديد، صور الفقد والوَجد والسنين... في أنين وحنين... » :

أمي...

أخي، لا تقل رفقاً، فهل يجد الرفقا ... فتى شقّ هول الخطبِ مُهجتُه* شقا
ولا تجذب الصبر الذي فوقها حنا ... ودعني على جثمانها أبداً مُلقى
أطوِّقه ما شاء وجدي ولوعتي ... وألثمُهُ لثماً، وأنشقه نشقاً
أوسِّده زندي، وأدنيه من فمي ... وخدِّي، وأبكيه، وألتزمُ العنقا
ولو أن نار الحبِّ ذادتْ منيّة ... لذدتُ الرّدى* عنها، وأحييتها عشقا
فلا تزجر الدمع السخيَّ فإنني ... يكاد نشيجُ* الحزن يخنقني خنقا...
يئنّ الجوى في أضلعي وحشاشتي* ... ويزحمُ أنفاسي ويسبقها سبقا
له زفرةٌ من جذر نفسي تصعّدتْ ... وإنّ لها في كل أطرافها عمقا...
وهذا وجيب القلب لو كان واجداً ... مسالكَ بعد الصدر يسلُكها طلْقا
لطار بجسمي في السماواتِ مُصعِداً ... وجاوزها، والوجد يخفقه خفقا
يفتِّش في الأرواح عن روح أمه ... ليبعثها بعثاً، ويخلقها خلقا...

***

أخي، كيف لم تُخبر أخاكَ بدائها ... ليفرغ في إسعاف علتها الطوقا
علاجاً، ولو لم يشفها، فهو حسبُهُ ... أما بذل الجهد الجهادى* فما أبقى
وتعلمُ أني أركبُ البرقَ ساعياً ... إليها، فإن لم يعنُ* لي، أكنِ البرقا
وتعلمُ ما في نفسها من محبّتي ... أما كنت أروي، لو حضرتُ، لها شوقا؟
عفا الله، هذي عبرةٌ أبديةٌ

***

فلا، لا تلمني إن شرقتُ بها شرقا

أخي، لا تقل بالغتَ، والله إنها ... لواعجُ من روحي إلى مِقْوَلي* ترقى
ووالله، لولا عزمة «عُمَرية» ... من المعدن الأسمى، لعشتُ بها أشقى
هي الأمُّ، ركن قدّس الله شأوهُ* ... وأرسى به في الكون رحمته حقا
وشاد على أقدامه جنة الرضا ... وكرّمه في الخلق مذ بَرَأ* الخلقا
وأمي لها في ذاتها وصفاتها ... سجايا من الأمّاتِ*، في نظري، أنقى
كأني بها صيغت من البرِّ والتقى

***

وأنَّ لها في وجهها منهما ألقا*

لقد أورثتني عن أبي شيَمَ النهى ... فلم أرتكبْ حُوباً* ولم أهتضِم حقا
وقد غلغلتْ بي من جميل طباعها ... حناناً وإيثاراً، ومن ذوقها ذوقا
وقد صحبتني في سبيلي إلى العلا ... ومن خُلُقي ألا أساقَ لها سوْقا
وقد وجّهتْ طرفي إلى أرفع المنى ... فأصبحتُ أبغي فوقَ ذروتها فوقا
جزى روحها الرحمن أكرم ما جزى ... به البرَّ والإيثارَ والخُلُق الأتقى
وسقى الضريحيْن اللذيْ فيهما أبي ... وأمي، من الرضوان أطهر ما يُسقى
ولقاهما من نظرةٍ وسكينةٍ

***

وألقى على نفسيْهما خير ما يلقى

لقد عزّ هذا الخطبُ حتى إخالُني ... رهيناً به، طوعاً، فلن أطلبَ العتقا
وقد طوّفتْ أصداؤه الأرض والسما ... وقد بلغتْ أنباؤهُ الغربَ والشرقا
ففي كلِّ يومٍ يحمل «البرق» من أخٍ ... تعازيَ، ما فرّجنَ عن قلبيَ الرِّبْقا
وفي كل يوم في البريد رسائل

وإنـــي لأدرى النـــاس فيمـــا يقولـــه
علـى أنَّ حلـمَ المـرء فـي فجـأة الـردى
يـــؤوب إلـــى التســـليم لله ذو الحِجـــى
أيـا أمّــتا، لا تجزعــي، لســتُ بالــذي
تكـــرر حمـــدي عنـــكِ لله فـــي الـــذي
طمأنينـــة الإيمـــان لا تـُــذهب الجـــوى
ويُسـعِدُ نفسـي فـي لظـى اليُتـْـم أنَّ لـي
وســـراً خفـــيّ الكنـــهِ يُـــؤنس غربتـــي
وطيفـــاً بـــدا فـــي كـــلِّ أفـــقٍ رمقتـُــه
وأنـي بحدسـي*، شِـمْتُ* مثـواكِ سـامقاً
وروّى إلـــى يـــوم النشـــور ترابهـــا
وأنـــي علـــيم أنّـــه المـــوتُ، حكمُـــهُ
وأنَّ يقينـــي أننـــا كلـّــــنا لـــــه...

***

منايـــا، وأقـــدارٌ، وسَفـْــرٌ* قوافـــلٌ
عجِبْـتُ لمـن لـم يسـتفِق مـن شـروره

تكفكـــف دمعـــاً زادهُ وقعهـــا دفقـــا
لـــي النـــاس، إيمانـــاً وموعظـــةً صـــدقا
يـزوغُ*، ولكـن فجـأة الخطـبِ لا تبقـى
وإن غـدقتْ* عينـاه فـي حزنهـا غـدقا
عصـى الأمـرَ، فـي صـبر عليـكِ، ولا
عقـــقّا
قضـــاهُ، دمـــوع لا تقـــرّ ُ ولا ترقـــا*
ولكـــن بهـــا نعنـــو لمـــن ذرأ الخلقـــا
رضـاً منـكِ، أحيـا العمرَ فيـه فلا أشـقى
وروحـاً جنانيـاً عـن الوصـف قـد دقـّا
تمنيـتُ لـو أسـكنتُ حبـاً بـه الأفقـا...
لـــدى الله، زاد الله روضـــته سَـــمْقا
المعطـر، مـن هتـّـان رحمتـهِ ورقـا...
مـن الله، صـدعٌ لا نطيـق لـه رتـْـقا
فللـــه مـــا اســـتوفى، ولله مـــا اســـتبقى

وأرواح خلـــقٍ نحـــو بارئهـــا ترقـــى
كـــأنّ علـــى عينيـــهِ مـــن غفلـــةٍ دبْقـــاً

أب

ولدي...
جبل الأربعين – سورية: ١٣٨٠

"كان حريصاً على إنشاء أبنائه، مُثلاً عالية سامية في الدين.. والعلم... والأدب...
كان يريدهم متعاطفين متآلفين... متعاونين متكاتفين...
وكان ينفق عن جهده ووقته معهم الكثير .. يصفو.. ويسعد بهم... يهديهم.. ويربيهم...
وقد تسوؤه منهم – أحياناً- نَبَوات .. ونزوات.. فيعاتبهم ويعظهم حتى إذا قصروا.. وكرروا.. وتشاجروا.. وتنافروا.. عمد إلى تأديبهم ليثوبوا.. لا تمنعه عاطفته أن يشتد.. ولا يقطعه ذلك عن دوام الدعاء.. والرجاء..":

ولدي

ولـــدي؛ وآمـــالي بكـــم تحبـــوكم أســـمى نعـــوتْ
لا تجعلوهـــا واهيـــاتٍ مثـــل بيـــت العنكبـــوت
شـــردت بكـــم نـــزوات أنفســـكم، وأمزجـــة شَـــتوت
ورميـــت حبـــات قلبـــي فـــي رحـــى نـــزق عَنـــوتْ
فـــالعمر.. مـــن لأواء حُبّيكـــمْ، وجـــوركم، يفـــوتْ
تحيـــون بـــي، وأنـــا بكـــم فـــي كـــل شـــاردة أمـــوتْ

ولـــدي؛ فثوبـــوا واســـبينوا الرشـــد، والتزمـــوا القنـــوتْ
أرضـــى فـــأدعو جـــأرة لكـــم، وموجـــدتي صـــموتْ
وأنـــا علـــى الحـــالين أدعـــو فـــي الكـــلام وفـــي الســـكوتْ

عفو الأبد..
حلب: ١٣٨٤

"كان لفقد أمه في قلبه لوعة لا تهدأ...

كان يكابد عزوف أبناء البلاد... عن صادق الجهاد... والفتن... تأخذ بخناق الوطن...

ترقب – وهو في رونه وشجونه – أن يبادر إليه، محب .. قوي أمين.. من أبنائه الراشدين.. يبلسم الجراح.. ويعين على العبء الرازح...

ولكنه رأى تخلفاً.. وتكلفاً!! فسقط في نظره الحياة.. وزفر زفرة الأباة.. معلنا بترفع ومرارة عتبه.. وعفوه.. وإيثاره..":

عفو الأبد..

اذهبوا في شأنكم يا ولدي ... ودعوني.. غارقاً في كمدي
أنتم .. تبغون غنماً لكم ... وأنا أبذل فيكم كبدي
خطوكم في عابر من حاجتي ... في منُّ البرم المتئدِ
أثري في يومكم أني لكم ... عدة لازمة في العددِ
ولقد يثقل ظلي بينكم ... ولقد يلطف ظلي في غدِ
في غدٍ يذكرني منصفكم ... عبثاً في لوعة المفتقد

ولدي؛ يسألني سائلكم ... وهو أدرى بالذي في خلدي
يا أبي.. أذهب في أمري.. أم ... ثم ما تحتاج في مددي؟
أنا لا أطلب منكم مدداً! ... حسب مثلي ربه من سند
والذي يصدر عن محض الهوى ... يبذل النفس رضا؛ ياولدي

اذهبوا؛ إن لكم من والد، ... لم يوف الحق، عفو الأبدِ
أسأل الله لكم فيض الندى ... ولنفسي راحة الرمس الندي
لم تعد تبهجني الدنيا.. وقد ... قُبضت أمي .. وأكرى بلدي

جوهري متقدٌ.. لكنه ... يتلاشى.. بددا في بددِ
ويدي – والفضل في بسطتها - ... كلما امتدتْ يدي، غل يدي
قدر.. أغلب من مقدرتي ... وليالٍ حبلها من مسدِ
قدر في الخلق، والخالق لا ... يرتضي للناس غير الرَشَدِ

ولدي؛ ما دمعة يذرفها ... ولد في والد ملتحدِ
حولوا الأدمع رشداً وتقىً ... وابتغوا مسلككم في الجددِ

على شبك العينين

سبتة – المغرب: ١٣٨٥

"دعي إلى أمسية شعرية في "تطوان".. و"سبتة" على بعد نصف ساعة منها.. فأحب أن يزور أسواقها..

ذهب إليها مع أخ "صالح" ...ولكنهما وجداها مغلقة... ليوم عيد إسباني...

كانت شبه الجزيرة السليبة، في رونق العيد... وقد أخذ بناتها زينتهن وتمشين سارحات، أسراباً.. وأسرابا..

جلس أمام النافورة في مقهى الساحة الكبرى... كان ساهماً... واجما، يستعرض في فكره أمجاد "سبتة" الإسلامية حيناً ... ويطير من المغرب إلى المشرق .. أحياناً.. يتذكر بلاده.. وجهاده.. وأولاده...

قال له صديقه وهو يجاوره ويحاوره: مالي أراك ساكتاً حزيناً، وهذه "سبتة" تضحك لك مياهها.. وتستقبلك وتقبل عليك.. بعيدها .. وغيدها...":

على شبك العينين

يا غيدَ "سبتة" ماذا العيد والغيد ... والتسع من حب قلبي دونهم بيدُ
تجري على شبك العينين سيرتهم ... تترى "كفيلم" له رجع وترديدُ
وللخيال حياة بينهم وهوىً ... وللحنين مع الأنفاس تنهيد
أطوي وأنشر أزماناً وأمكنة ... وأستعيد عهوداً كلها عيدُ
ونحن نجوى، جرت ما بيننا مُلحٌ ... في حلقة، واشرأب الحظ والجيدُ
ما أبعد الأمس عن يومي وأقربه ... لحن شجي له في النفس تغريدُ
ترن في أذنيَّ وجدي ومرحمتي ... بذكرياتي من "بابا" أناشيدُ
يا ويح "بابا" نأى "بابا" ولازمه ... من هم تسعته الأحبابِ تسهيدُ
وهمّ أمته في قلب غربته ... رحىً تدور، ولا يثنيه تفنيدُ
على ذرى الشهب من غرس الطموح جنىً ... وفي كروم المنى تزهو عناقيدُ
وللرسالة في عزمي مناشدة ... وملءُ نفسي أحلام أماليدُ

يا دهر شتّتنا مجد له قدرٌ ... وبعثر العمر تنكيدٌ وتشريدُ
يا دهر هل في غد الآمال مجمعة ... يا دهر أم في غد الآجال تبديدُ!
سلمتُ تسليم أواه له دأبٌ ... في سعيه، وإلى الله المقاليدُ

نجاوى محمدية

اتئد يا إمام

المديـــنة المـــنورة : في ٢٧ من ذي القعدة

● ... واقتربـت "المدينـة" ...
وأخـذنـا نتجه نحو مطـارهـا...
كانـت أخـاديد الـرمـال
تتراءى للخـاطـر الـلهـفـان
سطـوراً
من تاريـخ مجيـد
وتتـلامع من بعيـد
أطيـاف القبـة الخضـراء...
كنـت موزعـاً بيـن الأرض والسمـاء..
وكلـما تدرجت الطائرة إلى الهبوط
كنت أشعر بتصاعد الشوق
إلى الرحـاب الغـر
حتى إذا بلغنا الثرى الطـاهر
تسارع خفقـان القـلب...
واستعجلتُ السيارة تطوي بي الدرب
... أدركـت صـلاة المغـرب
منـذ ركعتـها الأولـى
واستغرقني خشوع الولوع
وأنا سـاجـد..
تمنيـت أن تطـول السـجدة، وتطـول...
ولكـن الإمام الرتيـب
نهض بداراً إلـى الركـعة الثـانية...

اتـئـد يـا إمـام، لا تـرفـع الـرأس
← سـريعاً، مـن السـجود لربـي
أنـا، لمـا تنسـم الـروح، عبـر←
الأفق، عرفاً* عن أشرف الخلق ينبي
وتطـلعت، خـاشـعـاً مسـتـهـاماً،
بجـنان مـولهٍ مشـرئـب*

فـتـراءت لـعـيـن قـلـبـي أنـوارُ
→ نبـي الـهـدى ، الرسول المربـي
هـام قـلبي بين السماوات والأفـلاك
→ يسـعـى إليـه مـن كـل دربـي
ثم لمـا سجـدت فـي الروضـة الغراء
→ أرمـي عـن كاهلـي عبء ذنبتـي
خـلت قلبـي ألقـى النيـاط جـذوراً
فـي جـنان الـهوى، لغرسـةِ حبـي
فاتئـد يا إمـام؛ لا تـرفع الـرأس
→ سـريعاً، تـكـاد تجـتـث قلبـي

سجدة روح

المـدينـــة المنـــورة : في ٢٠ من رمضان

تلبّثت بي من زيــارة الروضة السنية،
نُعميــات وذكــريات...
كــانت تعيش مع خفقــات قلبــي،
لحيــظات الـصّــفــاء
ولمعـــات التجـلـــي
فتثير في أعماق نفســي
على تتابع السنين
مزيداً.. مزيداً.. من الحنين..

وبعـــد أعــوام طـــوال...
حقّق الله لـــي أمــلاً غالياً
فصمت في المدينة المنورة
أيــاماً من رمضـــان...
وصلت في مســاء سعيد رائق
والليــل بين داج وســـاج...
وقلبـــي...
كأنّـــي بقلبــي تفلّت من الإهاب
وســبقني إلى الرّحـــاب...

سجدة روح

دخــلـت، وقلبــي قـد طـار مني!
ولكنـــه عـــاد لمـــا دخـــلت!
دخلت الرحاب، وأسـلمت نفسـي
إلـى تلف الوجـد، حـتـــى سلمـت!
وكـان المقـــام العظيـــم العظيـــم
عليـــه يخـــيم نـــور وصـــمت
فطـوّف بـــي من جـلال الرسول
ذهولٌ، فهِمتُ... وهمتُ...وهمتُ
شعرْت كأنّ السـماواتِ أرضـــي
وأنـــي عليها بروحـــي ســـجدْتُ!

نجاوى سجينة

المدينة المنورة: في ٢١ من رمضان ١٣٨٤

كان الحرص على عمرة وزيارة في رمضان يجذب إلى الديار المقدسة مسلمين صفوة من فجاج الأرض...
وكان ما يجري في بلاد الشام... من خنق للحريات وتطاول على الحرمات والمقدسات يخرج من أبنائها إلى هذه الديار أعداداً أكبر من المعتاد...
حدثني الكثيرون عن تفاصيل الأحداث الدامية التي جرت في حماة، وحلب، ودمشق، وسواها... كما حدثني عدد من المسلمين عن أوضاع سيئة في أوطانهم...
فاشتد بي الحبيسان: همي وهمتي... وجلست وحيداً بعد صلاة الفجر في ركن من المسجد النبوي أناجي ربي وقد امتزج في قلبي بكائي... بدعائي...

نجاوى سجينة

توزع فكري فلا يستقرُ ... على أن أعماق روحي سكينة
جلست، وهمي ينأى بنفسي ... بعيداً، وقلبي يوالي أنينهْ
وحولي مزيج صدى القارئينَ ... تلاوة وسْنانَ* لا مستبينة
وقد رمق الصبح سرب الحمام ... وألقى النقاب، وأبدى جبينه
فغيب ظل الرواق السَّنيِّ ... رويداً رويداً، وجلى غضونه*
جلست وفي الرأس من همةِ ... ←النفوس الكبار نجاوى سجينة
أفكر في أمر ديني وقومي ... وأَدْمُعُ عَيْنَيَّ حَرّى دفينة
وطرفي يرنو وراء المدى ... وللحب أنوار كشف مبينة...

***

وكنت، من الهم، في شردةٍ ... تلم برأسي طيوف حزينة
كأني ألمح في عاصفاتِ← ... العباب* تعثر جَرْي السفينة
وألقي بنفسي حناناً عليها ... لأوثقها بالحبال المتينة
فيرتد للصحو بي، مفزعاً ... يطير بوجهي حمام "المدينة"

***

أيا رب، "أمتنا" قد رماها ... بنوها بشدق* الرزايا رهينة
بحرمة عهدك: "حقاً علينا"* ... وقد قلت: "كُنْتُمْ*" فكانت قمينة
أجرها وأنجد، فإن لم تجرها ... فمن ذا يجيرُ... وينجد دينه؟
وألهم بيننا هداهم، وثبتْ ... خطى سيرهمْ في دروب رصينة
وحقق لهم صفة "المؤمنين" ... وضع عهدهم في رقاب أمينة
وخذ أخذة القصم من رامهم ... ودينك، بالبغي، واقطع وتينهْ*

الهزيمة والفجر

الربــاط: في ٢٦ من رمضان ١٣٨٧

... ووقعت الواقعة، وقد مهد لها بالفتن وبحرب اليمن وكانت الضرب وهزيمة والنكبة أكبر من أي شعر يقال فيها...
وأطلت ذكرى مرور أربعة عشر قرناً على نزول القرآن المجيد فاحتفى بها المغرب كل المغرب باجتماعات ذكر ومحافل شعر وفكر دعا لها صفوة من علماء الإسلام الأعلام وأقام حزب الاستقلال مهرجاناً حاشداً، طلبت مني قصيدة، فاعتذرت لأنني لا أستطيع الشعر بالطلب، ولأنه انقطع عني منذ الهزيمة النكراء...
وكنني استيقظت ليلة القدر – وهي ليلة المهرجان – على بيت من الشعر، نظمته في تجليات النوم، وانطلقت منه قصيدة طويلة، ألقيتها مساء ذلك اليوم...

الهزيمة... والفجر

على بـــراق من الإشراق منطلقي ... من حومة الهم واللأواء والقـلق
في مطمحي أمل، لم تخب جذوته ... برحمة الله، والأعباء في عنقي
أرنو إلى الله، والضراء تحدق بي، ... ونكبة المسجد الأقصى على حدقي
دم الفؤاد، ودمع العين، من لهب ... ذوب، وزفرة صدري الجمر في الحرق
على منابت تاريخ، وأرض هدىً ... من الرسالات ذات الجذر والسمق
على "الخليل" وكم ضاءت منائرها ... في المسجد الحرم الأسنى من اليقق*
على مرافع عيسى جلّ رافعه ... على المراتع أرست غصة الحـُلق
على مرابع قدس المجد، باركها ... وحولها الله، وهي اليوم في الرِّبق*
مسرى الرسول وأولى القبلتين بها ... وا حرّ قلباه، ماذا للفخار بقي!
عيناي عيناي، ويل الهول صورته ... في أدمعي، حيثما يمّمت من أفق
مالي أرى الصخرة الشمّاء في كمد ... تذوي، وعهدي بها مرفوعة العنق
ومنبر المسجد الأقصى يئن أسىً ... قد كان يحبو الدنى من طهره الغدق
واليوم دنسه فجر ألمّ به، ... من بغي شعب اليهود الدّاعر الفُسق*
وللعذارى، العذارى المسلِمات على ... أعوادِه ضمّةُ المُوفي على الفرق
لو استطاع لألقى نفسه حمماً ... صوناً لهم، ودك الأرض من حنق
وظلت الكعبة الغراء باكية ... وغم كل أذان غمة الشرَق
قد كابروا الله، واستعلوا على سفهٍ ... منى كواذب، دعوى غيرُ معتنق!
وأعلنوها، وما خاضوا معامعها ... ولا أعدوا لها إعداد ذي حذق!
فكان من أمرنا ما كان من فشل ... هذي جحافلهم مهزمة المِزَق*
بهم هُزمنا وما زلنا، وما اتعظت ... عُمْيُ النفوس!! ألا إن الشقي شقي
فيا فجيعة شعب مد كاهله ... ليصعدوا منه، في أبنائه العقق*
ويا حبائلهم لفي الشباك على ... أعناقهم، واخنقي الطغيان واختنقي
جرح، وأعمق من صبر ومن جَلَدٍ ... خرقٌ، وأكبر من عُمْر ومن رَتَق

لقد نُكِبنا، وما خضنا، ولا هُزم الأبطال في السجن، والأقطاب في الشنق*
بلى نكبنا، بما قد ناب أمتنا، والخطب من قلبنا في أعمق العُمُق
لا يأسَ فالحرب أقدار ودائرة وإنه طبقٍ يأتي على طبق
مكبلون، ولكن في غدٍ نبأ يا نجم مَزِّق ظلام الليل وائتلق
لسنا نبالي، وللقرآن في دمنا جذىً* من العزم تطوي شقة اللحق
غدا سيشرق بالإسلام طالعنا رغم الصعاب، وتجلو غرة الفلق
والنصر بالصبر والإيمان معقده والمجد بالعزم والإعداد والسبَق

مجروح الصلاة

الرباط: في ٢٦ من رجب ١٣٩٠

... تمضي إسرائيل في تحديها الغاشم... ويندلع في "الأقصى" حريق... كأنه شب في قلبي تتلامع من خلال "ناره" أنوار... في يقين بعيد الأغوار...

(... ويأبى الله إلا أن يتم نوره...)

وفي الذكرى الأولى للإسراء والمعراج بعد الحريق يقام مهرجان كبير في "جامع السنة" في الرباط، أدْعى للإسهام فيه...

صليت فجر ليلة الإسراء، وفي نفسي جراح، وفي رأسي طماح، ومع أشعة الشمس الأولى انطلقت قصيدة الذكرى

همة... وهم

أمل... وألم

خشوع ودموع...

إهابات... وعزمات

مجروح الصلاة

مـــلأ الملائـــك لهفـــة وهُيـــام ... ترنـو القلـوب هـوىً وتحنـى الهـامُ*

أسـرى، وسـبحان الـذي أسـرى بـه ... فـذرى السـماء، ينيرهـا الإلهـامُ

حـدث تفـرد فـي الوجـود جلالـه ... وجمالـــه، وجـــداه*، والإنعـــامُ

يـا يـوم "معراج الرسول" وأنـت فـي ... كـــر الـــدهور، بدايـــة وســـلامُ

عـــذراً إذا خنـــق البكـــاء تحيتـــي ... لـك، والأبِـــيُّ علـى البكـاء يـلامُ

لكنـــه "الأقصـــى" وفـــي نكباتـــه ... وحريقـــه، حـبس الـدموع حـرامُ

دمـع الأبـي الحـر بعـض جهـاده ... وزفيـــره عنـــد الـــوغى إقـــدامُ

ولـرب يـوم فـي الـدنى، تعنـو الـدنى ... لفخـــاره، وتمجـــد الأعـــوامُ

وتمـر فـي حلـق الزمـان مريـرة ... ذكـراه، وهـو علـى الزمـان إمـامُ

ولـرب حـر فـي صـميم فـؤادي ... نعمـى السـكينة، والفـؤاد ضـرامُ

يا ربِّ، مجروح الصلاة، تَشُتْ بي ... عـن بيـت "مكـة" قبلتـي، آلامُ!

فـي عـين إيمـاني قـذىً وأذىً، وفـي ... قلـب السـكينة للهمـوم عُـرامُ*

"فالقدس" نـار محـاجري ومشـاعري ... هـولٌ يغـول* هنـاءتي وحِمـامُ

هـل تطمـئن بـي الصـلاة وقبلتـي ... الأولـى يدنسـها خنـىً* وأثـام!!

يـا أمـة المجـد العريـق إجابـة ... هـل يسـتقيم لمسـلم إسـلام؟

و"المسـجد الأقصـى" يُحـرَّق عنـوة ... وذوو الـبلاء، عـن الـبلاء نيـام

متجبـرون؛ وإنـه اسـتئثارهم ... وهـوانهم، والبغـي والإحجـام

أغـرى "اليهـود" بنـا، وأمكـن كيـدهم ... منـا، فعـدنا والـبلاد حطـامُ!

حتـام نصـبر، والنوائـب جمـة ... تتـرى؟ ألـيس لجرحنـا إيـلام*!

يـا أمـة المجـد الغريـق، تـوثبي ... فالنصـرُ حقـكِ، والجهـاد لـزامُ

تـدعوك للجُـلَّـى، اسـتغاثة كاعـبٍ ... عـذراءَ، تسـبى والصـلاة تقـام!

وإهابـة*، أم الشـهيد شـدت بهـا ... زغـرودة، دمـه لهـا أنغـام...

جـرح الـهـزيمـة ظـالم متفـاقمٌ ... أمـا الجـهـاد، فجـرحه بـسام

أشواق وإشراق

الرباط: في ١١ من ربيع الأول ١٣٩٢

تحية لمولد النور... ولمجد الهجرة...وفي حب سيد الكائنات... الذي سَمَى بالإنسان وغمر الوجود هداية وسلاماً، تألقت أشواق... وكان إشراق... وتخللني من هموم الأمة، وتوثبات الهمة، والعواثر والقواهر، إطراق... وإشفاق...

وكانت قصيدة، تضم قصائد ألقيتها في حفل حاشد بجامع السنة.. في رباط الفتح...

أشواق وإشراق

على جناحين من ذكرى وأشواق ... حلّقت في سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاق، لواعِجُه* ... تعدو به ومَضَائي ملء أحداقي
يسري بي الشعر، من دنيا يدور بنا ... دولابها، بين إرهاق وإرهاقِ
إلى عوالم من أمن ومن دعة* ... إلى ندى* الله، من هدي وإشراق
إلى المدينة نور الله نورها ... أفك روحي بها من أسر أغلاق
أحيا "بروضتها" حب الرسول على ... ذكرى مضت، وهُيام خالد باق
"محمد" الخير، هادي العلمين بما ... أوحى به الله، من شرع وأخلاق
عل جناحين من ذكرى وأشواق ... حلقت من سجن أعبائي وأوهاقي*
وطرت، والقلب خفاق لواعجه* ... تعدو به، ومضائي ملء أحداقي
أرنو إلى الغد، والهم الكبير له ... شكوى تؤُجّ بنفسي، ذات إحراق
ما "العيد"، والقدس في الأغلال رازحة ... والمسلمات سبيات لفساق؟!!
وأستجير برب البيت في قلقي ... على "المدينة" من فتك وازهاق
وأرسل الدعوة الحرّى، على ثقة ... بالله، في صبر فذ* العزم عملاق
فالنصر في قدر الله الحكيم على ... وعد مع الصبر، في إيمان سبّاق
على جناحين من ذكرى وأشواق ... حلقت من سجن أعبائي وأوهاقي
وطرت، والقلب خفاق، لواعجه* ... تعدو به، ومَضَائي ملء أحداقي
حب النبي رسول الله، ينفحني ... عزماً، ويجري دمي نوراً بأعراقي
والشعر يعرج بي من الثرى لذرىً ... يزاحم النجم فيها، مد أعناقي
أطهر النفس من أدرانها بسنىً* ... من التقى والنّقا والوجد دفاق
أسمو إلى جنة الرضوان، في خلدي* ... كأن فردوسها الأعلى بأعماقي
أرقى إلى الله، لكن ساجداً ولهاً ... وليس كالساجد الولهان من راق

الفجر الولود

المدينة المنورة: في ٢٢ من رمضان ١٣٨٤

عالم المسلمين! في المشارق... والمغارب.. فتنٌ... ومحن! يتضافر على حربه وضربه... بغي أعدائه... وبعض أبنائه... وتبقى الشعوب في أعماقها الإيمانية أبية... عصية، رغم ما تُحْمَلُ عليه، وتساق إليه... من نزاع... وضياع... وقد تحركها ردود فعل معطاء على كل انحراف يراد لها... أو ظلم يوقع بها...

وتمتزج حياة أمتي وتعتلج... في صميم حياتي، حتى في صلاتي وأنا في الرحاب النبوية الغراء...
وينبلج من قلب الظلمات... في تجلياتٍ من أملي البعيد... إشراق فجر جديد...

الفجر الولود

سجدتُ أسبح رب الوجود وأمعنت، حتى عددتُ الوجودْ
وسِحتُ ورحت وغبت وأبتُ وما من غواش* ولا من قيود
وصرت كأني من الوجد كُنْهٌ يُلِمُّ به طيفُ وَحْيٍ شرود
كأن هيولى الرسالات ألقتْ علي سلام تجَلٍّ وَجُودْ
وأني في صحبة المصطفى أناجيه وحدي، وما من حشودْ
فزادت طمأنينة الذاكرين وهاج هيام اتصال السجود
ولاحت لوامع فيض سَنِي وكان الفناءُ... وكان الشهود

***

وَلَفَّ المصطفى كياني، وقدْ كساه سنا الله أزهى بروْدْ
فحلقت أرهف سمعي إلى صدىً، وردود تليها ردودْ
وأرنو، فأبصر ملء المدى كماة* يَكِرُّون كرَّ الأسودْ
وبين التهجد في سرحةٍ وبين انتباهي، وبين الهجود*
أُراني – وقد جزْتُ طَوقَ الزمان وألَّق ذاتي وثاب شرودْ
أراني يجلجل في غور عزمي أذان يهز النفوس الرُّقودْ
ويرسلها صيحة للبدار تدك معاقل كفر لدود
فتجري ملاحم لله غرٌّ.. على جندها من جهاد زُرُودْ*
ويستأنف الفتحُ صولاته... فيا للبروقِ... ويا للرعود

***

وتصحو البرايا، فلا لا ترى سوى النور يغمر دنيا سُعُودْ
وقد هتك الزُّور وانجابتِ← الدياجي*، وخاب الظلام الكَنُودْ*
وحزب "محمد" يحدو الرِّكابَ ويركض بين القنا والبنود
وقرآنه في يمين القضاء يمد الوجودَ بفجر ولودْ
حياة حضارتها من تقىً وإنسانها مستنير ودودْ

***

يقولون: حُلمٌ، ألا إنها لرؤيا ستصدق فيها الوعود
غداً سوف يظهر دين الإلهِ ويُقهَرُ في الكون كيد اليهودْ

في محراب الرسول

المدينة المنورة: في ٢٦ من رمضان ١٣٨٤

العشر الأواخر من رمضان... أيام التجلي والإشراق، سعدت بقضاء بعضها في الرحاب النبوية الغر... كنت أحرص على السبق إلى المحراب، أغسل نفسي بصلاة متأنية خاشعة أتخيل جبهتي خلالها وكأنها تلامس مكان سجود النبي عليه الصلاة والسلام فأشعر بنشوة وتجل وهيام..... ونشأتْ بيني وبين المحراب – في سجية شاعرية – عاطفة عجيبة سنية

وأقبلت ليلة القدر فأزمعت الرحيل إلى مكة لإحيائها هناك... في بيت الله الحرام... وصليت في المحراب النبوي الطهور ركعات وداع لهفان... في عوالم من نور...

في محراب الرسول

تألّه* قلبي لما سجدتُ أهيم بمحراب خير الأنامْ
وأرسل من شفتيه الدعاء وجيباً*، وفي السمع سجع الحمامْ
وفي أعيني من سنا الله برق يُحَسُّ، ولكنه لا يشامْ*
له في خلاياي دفعٌ ورفعٌ إلى شرفات حمىً لا يرامْ
تحف بروحي عوالم وَلْهَى كأني بها كُوِّنتُ من سلامْ
أغيب، كمن نام في نشوةٍ ونفسي.. عيون هوىً لا تنامْ
وأشعر أن كياني تمدد حتى تخطى الدنى والحُطَامْ*
أقولُ سموتُ؟! وفوق السمو أقول ثَمِلْتُ*؟!وما من مُدامْ
أقول ارتويْتُ؟! أجل؛ لا ولا وكيف ارتويت وكلي أُوَامْ*
ألا إنها نُعْمَيَاتُ التجلي... هيان سجود يفوق الهيام

فسبحانك الله ملء الوجودِ وملءَ السجودِ وملءَ القيامْ

في حضرة المصطفى

المدينة المنورة: جمادى الآخرة ١٣٩٢

تريَّثَتْ بي شدّة وجدي عن المسارعة إلى السلام، أشْوق ما أكون إلى المقام...
كنت أهيم في المسجد...
أصلِّي... وأجول...
وأتهيب المثول، كنت أنظر من بعيد أردِّد في قلبي وأعدِّد
صيغ النجاء.. والثناء.. والدعاء
فلما وجدتُني خاشعاً في "المواجهة"، تجمد في فمي السلام... وغاب الكلام
واغرورقت عيناي... ولم تنْبِس شفتاي... وكانت "أحوال"...
سَمَوْتُ... بعد أن سهوتُ
ودنوتُ... وحيَّيت
وناجيتُ... وناجيت
وما ارتويت...

في حضرة المصطفى

الرّوضة الغرّاء في ملمسي، في نفسي...في أعيُني..في الضُّلوعْ
وقفتُ منها هائماً والهاً... وقوفَ صبٍّ مستطارٍ* ولوع
رانية*... دانية كالجنى... سناً جِنانياً يفوقُ السّطوعْ
فاخْتلَجَت في حضرة المصطفى حُشاشتي*، وكاد روحي يضوعْ
وغَشيَتْني رهبة لعْثمَتْ ← نطقي، وأعْشى* ناظريَّ الخشوعْ
فلم أجِر*، حتّى ولا دعوةً ← حَرَّى، كأنّي من دعائي جزوعْ
تحيَّتي وَجْدٌ، وبثّي جَوَىً ورُبَّ صمتٍ ترجمَته دموعْ
قلتُ: أصلِّي، فإذا السهوُ في ← صحْوي،وأسترجِعُ*؛ ما من رجوعْ
واخْتلطت!.. فوقْفَتِي سجْدة! وأستوي، وقد أردَدْتُ الرّكوعْ!
وغبْتُ عن ذاتي فلم أسْتبِنْ أيْنَ أنا؟ وأيْنَ منِّي الرُّبوعْ!
الله... يا الله... ردَّدْتها وكل ذراتي أوام* وجوع
... ولاحَ برْقٌ خاطِفٌ، يا لهُ قد أوقدت في النفس منه شموع
وعُدْتُ أسْتشْعرُ أنِّي هنا!! لكنني فوق المنى والنزوع*
وجدتُني في حضرة.. المصطفى بصيرتي يقظى، وروحي سجوع
..

نفحة سجود

الرباط: في ٦ من ربيع الثاني ١٣٩٣

كنت أصلي الصبح إماماً بأبنائي، وفي نفسي قلق حائر، وفي رأسي نقيق صداع... سجدت مغمض العينين وأطلت قليلاً، واسترسلت... فلاحَ لي في الغمضِ ومْض... وتراءت صورٌ متداخلةٌ من صلواتٍ خاشعاتٍ سبقتْ لي في الحرمين النيّرين، وتملكني شعور عجيب، كما لو كنت أصلي هناك لتوي!

وألمّ بي تعرقٌ بارد، وأحسست في كياني بخدر، ولاحت بارقة تحلٍ وإشراق، فغمرتني طمأنينةٌ وسكينة...

نفحة سجود

شـرِّقي يـا ريـاح وجـدي وزيـدي ... فـي انطلافـي "تواسُـعٍ" وصـعودُ
خلـدُ أو مضـت بـه واشـرَأبَّت* ... سَـبَحاتُ الكيـان خلـفَ الحُـدودِ
وسـجودُ فـي "الروضـتين*" معـاً هـامَ ... ← ومـا جَـاوَزَ "الربـاط" سـجودي
وكـأنّي – وحـولي الفتيـة الأنجـاب ... ← أحبـاب قلبـي المفـؤودِ*
والضـياءُ الحيـران فـي ركعـاتِ ← ... الصـبح يسـرس كبسـمةِ المولـودِ
والتسـابيح بـين سـرٍ وجهـر ... مـن أريـج الزهـورِ والأُغْـرُودِ*
وأنـا والـه التجلّي،أصـلي– ... لكـأنّي هنـاك بـين الحشـودِ
في"المقـامين*" خاشـعُ وفيـوضُ ← ... اللهِ عمّـتْ كـلَّ الوَجُـود بجُـودِ
مرفـأ القلْـب، منبـع الحـبِّ، خيْـرٌ ... أزلـيٌّ، عطلـؤه مـن ودودِ
قـد غسـلت الهـمّ الملِـمَّ وأطفـأتُ ... ← غليلـي بـورْدِهِ المـوْرودِ
فاسـتراحتْ روحـي بـأُنْسٍ، وأنْسـيتُ ... ← معانـاة جسـمي المَكْـدُودِ
وتسـامى الجَنـانُ فـوق جِنـانِ ← ... الخلـدِ، يسـعى إلـى مراقـي الشُّـهودِ
نفحـةٌ مثـل ومضـة البـرق أبْقـتْ ... فـي عيـوني نـدىً كطـل الـوُرودِ
شـردت بـي هنيهـةً عـن وجـودي ... وسَـناها مـزالَ مـلءَ وُجـودي

في ضمير البحر
الهرهورة(قرب الرباط): في ١٧ من رجب ١٣٩٣

في سرحة شرود... والغروب يستثير مشاعر الغربة... تأملات في الحياة... وبث... وشكاة... وإحساس عجيب... باندماج... في عوالم بلا معالم!.. يكاد يستخرج الإنسان... من إهاب المكان والزمان... ويسمو به إلى حيادٍ عليم... تشرق عليه فيه سكينة التسليم!..

في ضمير البحر...

هـــرب المـــد وأمســـى صـــخب الأمـواج همسـا
وتـراءى البحـر قـد ← أضـفى عليـه البـون* لبسـا
بـــين أســـراب ســـحاب تغـرس الآفـاق غرسـا
كتغاضـين* جبـين الـدهر → مـن نعمـى وبؤسـى
وتشـــيع الشـــمس فـــي مغربهـــا حزنـــاً وأُنـــا
وعلـى الفضـة فـي رَحْـبِ → الفضا تسكب ورْسا*
غـرق اليـومُ بجـوف ← الـيم، حتـى صـار أمْسَـا
وتألمـت... فقـد أودعـتُ → بعض العمر رمْسا*
وتألمـت... ومـاذا العُمْـرُ؟ → ...اســتعليت نفســا
كلمـــا اشـــتد أُوامـــي* بإمـــامي أتأســـى...
أســـتقي مـــن فيضـــه أقـبس منـه الهـدي قبسـا
وأحيـــل النـــور راحـــاً وهَيـولى* الـوحي كأسـا
ولقـد أسْـتَنطِـق الصـمت → مـن التـاريخ جرْسـا*
أتســـامى جاهـــداً ← أسـتقطر الحكمـة درسـا
بشـــريات مـــن تجليهـــا الرِّضـــا يشـــرق حدْسَـــا
فـــإذا بـــي هـــائمٌ فـي ملكـوت الصـبر أنـى
غربـة القلـب، ومـا منهـا → علـى الشـاعر أقسـى
وكـأني مـن مراقـي النـور → قـد أحْلِلـْتُ قدسـاً
... وتجـــاوزت "الأنـــا" جسـماً.. وتفكيـراً وحِسَّـا
حبسـتني وهلـة الدهشـان → عـن ذاتـي حَبْسـا...
فتـرة رسَّ* بهـا الإبهـام → فـــي ذهنـــيَ رسَّـــا
ســادرٌ... لا عِـيَّ أشـكو لا... ولا أملـــك نبســـا
لا أرى مـــن أمـــل ← يُرجى... ولا أعرف يأسا
كشـراع فـي ضـمِير← البحر... لا يقصد مَرْسى!

أحلام نور وحضور

المدينة المنورة: جمادى الآخرة ١٣٩٦

في الطائرة إلى "المدينة المنورة"... سرحت بعيداً في أعماق الآفاق... أغمضت.. وأمعنت.. حتى تحررت... وانطلق بي الخيال الجوال، من الأرض وأغلاقها.. إلى السماء وإشراقها...

أخذتني سبحة وجدٍ، ونفحة سعدٍ.. وتطاولت نفسي في تطلع لهفان تستعجل ساعة الوصول... ونفحة المثول

في مقام النور:

أحلام نور وحُضور

أغمضت، وقلبي يبصر لي ... في الغيبِ معارجَ من نور
غُرَّا، لم أُوتَ جَدارَتها ... فجرٌ، وأنا في ديْجُور
أملي.. لو أسعفه عملي ... لسَمَوْتُ؛ ولكن مقدوري
كلا... غفرانك يا ربي ... بل ذلك من محض قصوري
تفريطي سَوَّلَ تبريري ... نقصانُ نهى... نفْثُ غرورِ*
فأنا الغفلان عن التقوى ... وأنا المنساق إلى البُور
أغمضْتُ، فأطلقني غَمْضي ... من أسر العيش المكْرُور
ومن الأبعاد بسطْح الأرض ... → إلى الأصعاد المنشور
وسموت، وطائرتي تجري ... في الجوِّ كقصرٍ مسْحُور
تستدني لي هدفي وأنا ... أستعجلُها، غيرَ صبُور!
أغمضْتُ، فأوصلني غَمْضي ... كالوَمْضِ، وبادرْتُ عبوري
ودخلْتُ – بأحلامٍ يقْظى – ... جنّات الخير المذخور*
ووجيب القلبِ بخَفْقتِه ... يشدو بدعاءِ مأثور
والعين ترف على صورٍ ... ما بين ظهورِ وضمور
أنا و"المحراب" على شغفٍ ... وحبُورٍ، بل فوق حُبُور
في سجدة روحٍ والهة ... في التّوبة لاذت بغفور
و"الروضة" ترقى بجَناني ... من جنّة عدنٍ في طور*
لم أبقَ أنا... أصبحتُ سناً ... بنْسابُ مع العِينِ* الحور
صبٌ، والوَجدُ له وَهَجٌ* ... في العين، كَدُرٍ منثور
وخلايا كنهي في طَرَبٍ ... من فرط الحب المبرور
فالحبّ هنائي وصفائي ... والحب نقائي وطَهُوري
والحب بقائي وفنائي ← ... العُلويّ، وبعثي ونُشُوري
وغفوْتُ، وقلبي في دَأَبِ ← ... اليقظان، يقدّس لشكور
ورعشْتُ... فتخْتُ العين فقدْ ... نادى الرُّبانُ من الصُّوَر*
وأخذنا نهبِطُ... وارتجّتْ ... بالأرض، كنسر مذعور
وصحوْتُ ولكن كالمشدودِ ... → من النّعماء، المجْرور

ونهَضْـــتُ أغـــادرُ طـــائرتي بخطـــى المأســـور المـــأمور
لكـــن تَطـَلـــُّعَ عـــاطفتي - والوَجْـدُ يُؤَجِّجُهـا.. يُـوري
ويُغِـذُّ* تلهُّفـــها – أجـرى سَـــعيي بِخُشـــوعٍ وسُـــدُور*
حتـــى يمّمْـــتُ مفـــام النـــور ← لأسْـجُد فـي فلـك النـور
ســـجَدَاتٍ تقـــدحُ تحليقـــي فـي جـوِّ نُجُـومي وبُـدُوري
أَدْنـــو مـــا امتـــدّت مُؤتـَلِقـــا وأغيـــبُ بـــأحلامِ "حضـــور"

الهوى دوا
المدينة المنورة: في ١٨ من جمادى الآخرة ١٣٩٦

أزمعت مضطراً مغادراً "المدينة" عصراً... لالتزامات لا مفر منها، وبعد صلاة الفجر وصفائها ودعائها هممت بمغادرة المسجد النبوي الوضاء، فلم تنهض بي ركبتاي، وشعرت فجأة بإعياء شديد...

قال الطبيب: إنه (انخفاض) في ضغط الدم، مع أن ما أشكو منه عادة (ارتفاعه)!، وأشار بعدم السفر، ووصف علاجاً من حبوب ونقط.

ولما عاد إلي ابني "اليمان" من الصيدلية وجدني أردد المثل: "الهوى... دوا..."

وقد قررت إرجاء سفري... وفي يدي قصيدة:

الهوى... دوا

تصاعد ضغط الوجد فانخفض الضغط* وريعَ* الطبيب البر واضطرب الرهط
وقالوا: تلبث، قيل: قد "حجزوا!*" له فرد وجيب القلب: إياك لا تخطُ
فإنك تشكو الذنب والجدب والجوى و"أحمد" معطاء، وأنت له "سبط*"
تُعالج به، زد في الهوى، فالهوى دوا علاجك فرط الحب، لا الحب والنقط
ولا... لا تغادر روضة الطهر والسنا فكم في ظلام الذنب من نورها وخط*
لها نفحات، فاسأل الله فيضها بلهفة صب، إن محض الهوى شرطُ
لقد أجدبت هذي القلوب وأمحلت وبالحب، فوق الطب، يستخصب
ومن ينتسب يَشْرُف، ومن يقترب ينل القحط
فقلت: أجل، روحي وراحي وراحتي جدا الله والقربى هي الكرم الفرط
هوى المصطفى، لا لن أفوتها قطُ

في زحام المقام

المدينة المنورة: ١٣٩٨

... ووصلت "المدينة المنورة" مشبوب العاطفة... شديد الشوق إلى الزيارة الطّهور

بادرت بلهفة وإقبال... أسعى إلى الروضة الجنانية... ولكن حشود الزائرين الهائمين حلت بيني وبين المقام الأغر

...تنهدت بتعب ومشقة وأنا أتفلّت من تدافع الزحام وأسندت ظهري إلى جدار المسجد أرمق بوَجْد وغبطة ذلك المزيج البهيج من الخاشعين أمام المقام...

في زحام المقام

تقاذف جسمي زحام شديد ... وعاق مضيّي إلى ما أريد
ماذا أريد سوى نهلة ... من النور، تروي الفؤاد العميد*
ونظرة قرب تبثُّ الهوى ... بصمتٍ مبين... ووَجْد مجيد
ونشقة عَرْفٍ* حبيب زكا* ... أثير* لدى الله هادٍ رشيد
أناجيه... أدعو... أسلّم... أسمو ... به، في معارج ذوق رغيد
ترنّحْتُ* فوضى... يميناً... شمالاً ... وواجهت سيلاً كحب الحصيد
حشود محبين، ترتجّ... تدنو ... وتنأى... وتدنو... كموج عنيد
وسربْتُ جسمي من ضغطها ... رويداً... رويداً... بجهد جهيد
وأفلتُّ، بعد عناء عصيب ... وصبر مُلِحٍ، ودفع وئيد
ترفّقت بالناس، كالهائمين ... يصدونني في اعتباط بليد
لقد عنفوا، دون قصد ووعي ... ورفقي، مع العزم، واعٍ سديد
مقام له أدب واجب ... لزام من الدين، نهجٌ حميد
جلال له في خلايا وجودي ... خشوع بصير، وحب وطيد
فررت بظهري إلى حائط ← ... المصلّى، ولأنفاس صدري تزيد
تنهدت ملء كياني سعيداً ... بمن نال حظ الدنو السعيد
وقلبي؛ كأني بقلبي تخطّى ← ... الحشود، وحاذى المقام المشيد
وأشرقت النُّعمَيَاتُ الغوالي ... بأعماقه، في تناج فريد...
وعانق روحي نور النبي ... بقلبٍ قريب... وجسم بعيد